

أعمال المستشرقين في المعجم العربي معجم فيشر ومعجم دوزي

د. عبد العزيز بن حميد الحميد*

أوجست فيشر (1865-1949)⁽¹⁾ August Fischer

مستشرق ألماني اعتنى بدراسات اللغة العربية، ونهج منهج أستاذه هاينرش ليبرشت فلايشر مؤسس مدرسة ليبزج في الاستشراق الألماني، وهو منهج يقوم على الاستناد الوثيق إلى الشواهد اللغوية العربية، وإلى أعمال اللغويين والنحاة العرب، والابتعاد عن الافتراض من غير أساس.

برع في علوم اللغة تأليفاً وتدریساً، وتولى التعليم في معهد اللغات الشرقية (1896-1900)، وشغل كرسي اللغات الشرقية في جامعة ليبزج (1900-1939).

تلمذ عليه أعداد كبيرة من الدارسين من أنحاء كثيرة، من أشهرهم المستشرقون: شاده وبرجستراسر وجراف.

وعين عضواً في مجمع اللغة العربية في مصر بعد إنشائه، واستمر يتردد على القاهرة في شتاء كل عام حتى عام 1939م بعد قيام الحرب العالمية الثانية، حيث لم يستطع الرجوع واستمرت عضويته في المجمع إلى سنة 1945م، وتوفي سنة 1949م من أعظم أعماله العلمية مشروع معجمه التاريخي للغة العربية، والذي قضى في جمع مادته أربعين سنة، وهو موضوع هذه الدراسة.

ويحسن بنا قبل دراسة معجمه أن نشير إلى بعض مشاركاته في القضايا اللغوية أثناء عضويته في مجمع اللغة العربية بالقاهرة:

* كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

(1) ينظر في ترجمة فيشر: تاريخ حركة الاستشراق ص 340-341، موسوعة المستشرقين ص 280-284، المستشرقون 415/2-416.

وضع خطة المعجم التاريخي الكبير:

كان فيشر عضواً في لجنة المعجم في المجمع، ولذا طلب منه وضع خطة للمعجم التاريخي الكبير، وقدم تقريراً خاصاً به يشتمل على الخطة كاملة⁽¹⁾، ويظهر لي أن تلك الخطة كانت لدى فيشر أعدها لمعجمه التاريخي، وحينما طلب منه خطة للمعجم الكبير قدمها إلى المجمع، ومما رجح لدي هذا الرأي أن عبد القادر المغربي - وهو أحد الأعضاء - كتب بحثاً عنوانه (معجم الدكتور أ. فيشر - وصفه ونقده)⁽²⁾، وقد أقم دراسته لمعجم فيشر على تقرير قدمه فيشر نفسه إلى المجمع في الدورة الثالثة سنة 1936 عن معجمه ملتصقاً من المجمع النظر فيه وإصدار قرار بطبعه على نفقة المجمع، وأرفق به نماذج للمعجم هي مادة (أخذ) ومعانيها، ليطلع عليها الأعضاء، واستعرض المغربي معاني (أخذ) بالنقد والتحليل.

ويدل ما مضى على أن فيشر كان قد قدم تقريراً عن معجمه مع نموذج مادة (أخذ)، كما أنه قدم تقريراً عن المعجم التاريخي الكبير للغة العربية للمجمع مع نموذج مادة (أخذ)، وهو ما يرجح أن فيشر قدم التقرير والنموذج مرتين: خطة لمعجمه الخاص، وخطة للمعجم التاريخي الكبير للغة العربية. وعندما نظر نظرة إجمالية إلى التقرير نجده ناضجاً من حيث شموله أهم القضايا، حيث قسمه إلى مقاصد خمسة:

المقصد الأول: في أنواع محتويات المعجم: ذكر فيه أنواع المصادر التي تؤخذ منها الألفاظ.

المقصد الثاني: في طريقة جمع محتويات المعجم: ذكر فيه طريقة جمع المواد التي سبق ذكر مصادرها، فيفرد جزاة لكل كلمة وتركيب ومعنى.

(1) ينظر: مجلة المقتطف - الجزء الثالث من المجلد الرابع عشر بعد المائة (لحق المقتطف) ص 3-36.

(2) ينظر: مجلة المجمع العلمي العربي - الجزء الرابع - المجلد الرابع والعشرون ص 500-514.

المقصد الثالث: في ترتيب المعجم: ذكر فيه ترتيب المعجم على الحرف الأوّل والثاني وهكذا، ثمّ الترتيب الداخلي للمادّة.

المقصد الرابع: في قواعد المعجم غير المذكورة: ذكر فيه عدداً من قواعد المعجم وهي: ضبط كلمات المعجم، وإثبات كلّ الكلمات والتراكيب والمعاني بشواهدا وما يتعلق بها من التوثيق، وترتيب الشواهد تاريخياً لمعرفة تاريخ الكلمات.

المقصد الخامس: في نقل محتويات المعجم إلى لسان أوربيّ: أراد به إضافة ترجمة إنجليزية أو فرنسيّة للكلمات والتراكيب في المعجم

المعجم اللغويّ التاريخيّ (معجم فيشر):

يُعدّ معجم فيشر من أفضل معاجم المستشرقين التي أثّرت في الدراسات المعجميّة العربيّة.

وكانت بداية مشروعه في أوائل القرن العشرين، عندما عرض فكرته في ثلاثة مؤتمرات استشراقية في باسل عام 1907، وكوبنهاغن عام 1908، وأثينا عام 1912، حيث لقي قبولاً واستحساناً.

واستعان ببعض الجهود التمهيدية التي قام بها قبله بعض أساتذة العربيّة بالقسم العربيّ بجامعة ليزج، مثل: هاينريش ليرشت فلايشر، وهاينريش توربيكه، ووكل إلى بعض تلامذته انتقاء مختارات من دواوين الشعراء، وممن تعاون معه فريتس كرنكو، ويوهانس بيدرسن⁽¹⁾.

وابتداً فيشر بالعمل في معجمه مدعوماً دعماً متقطعاً من بعض الجهات الألمانية، وعندما أصبح فيما بعد عضواً في مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة تيسّر له طرح

(1) ينظر: معجم اللغة العربيّة الفصحى - مانفريد أولمان (ألمانيا والعالم العربيّ ص 331).

فكرته على أعضاء المجمع، وبعد مداوولات وطرح لآراء عديدة وافق المجمع والحكومة المصرية على تبني هذا العمل وتحمل تكاليفه.

ولا شك أن قبول المجمع ذلك المشروع يعدّ دليلاً على جهد فيشر المعجمي، حيث استطاع أن يقنع المجمع بالتصوّر المعجمي الاستشراقي القائم على نقد المعاجم العربية ومعاجم المستشرقين التي سارت على منوالها، لما فيها من عيوب عديدة، ذلك التصوّر الذي يذهب إلى أخذ مفردات العربية من مصادرها الأصلية - متى أمكن - لا من المعاجم العربية⁽¹⁾، ومن تلك المصادر ما يعدّ خارجاً عن مفهوم الفصاحة الذي حدّده المعجميون العرب.

إنّ ذلك الاعتراف الجمعي بعمل فيشر - وإنّ لاقى المعارضة من بعض الأعضاء - دليل على أثر الاتجاه الاستشراقي في ميدان الدراسات العربية للمعجم، حيث أوجد لنفسه مكاناً في ذلك الميدان المزدهم بالآراء الأخرى، وبذا أصبح ذلك الاتجاه واحداً من الاتجاهات في الصناعة المعجمية.

أما عن مصدر اتجاه فيشر في معجمه فغير متفق عليه، وفي التصدير الذي كتبه د. إبراهيم مدكور - الأمين العام للمجمع - للمطبوع من معجم فيشر، ذكر أن معجم أكسفورد التاريخي كان مثل فيشر الأعلى، حيث أراد تطبيق منهجه في اللغة العربية⁽²⁾.

(1) لم يكن فيشر الوحيد الذي كان يدعو إلى الاعتماد على المصادر الأصول لا المعاجم العربية، بل أيده المستشرق ماسينيون وحسن حسني عبد الوهاب. ينظر: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص 507.

(2) وينظر: مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً (1) - إبراهيم مدكور 66/1، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية 1383هـ - 1964م، وذهب د. أحمد مختار عمر إلى هذا الرأي، ينظر كتابه: أبحاث اللغوي عند العرب ص 273 - ط الرابعة 1402هـ - 1982م - عالم الكتب - القاهرة.

أما أ. د. محمد رشاد الحمزاوي فذهب إلى خلاف ذلك الرأي، بل إنه نفى صحة رأي د. مذكور، وذهب إلى أن الذي أوعز بفكرة المعجم التاريخي إلى فيشر هو المستشرق توربيكه، وفي موضع حديثه عن المظاهر التاريخية والأصولية والإعرابية والنحوية والتعبيرية والأسلوبية في معجم فيشر، ذكر أن الذي أوحاها إلى فيشر هو المستشرق ف. هيرديكن F. Heerdegen في علم اللغة اللاتينية Lateinsche Lexikographie، حيث أشار فيشر إلى أن بعض الآراء التي ذكرها عن نظرية صناعة المعجم ترجع إلى ذلك المستشرق، وهو دليل اتخذه الحمزاوي لدعم رأيه⁽¹⁾، وكان الحمزاوي ذهب إلى أثر المستشرقين: توربيكه وهيرديكن على فيشر في فكرة المعجم.

ما طبع من معجم فيشر:

طبع جزء من المعجم من أول حرف همزة إلى (أبد)⁽²⁾ بعنوان (المعجم اللغوي التاريخي)، ذهب أربع وثلاثون صفحة منه في المقدمة، وجاء المنشور من حرف همزة في ثلاث وخمسين صفحة، ذهب عشرون منها في الحديث عن أنواع همزة، والباقي منه في كلمات أعجمية وعربية، ولذا فهو نموذج قصير، لقلة الألفاظ الغنية فيه.

(1) ينظر عن الموضوعين: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة - أ. د. محمد رشاد الحمزاوي ص 98، 509-

510 ط الأولى 1988م دار الغرب الإسلامي - بيروت، معجم فيشر (المقدمة) ص 25.

(2) طبعته الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (1387هـ، 1967م)، ونشره مجمع اللغة العربية.

وكنت حاولت الاطلاع على بطاقات فيشر في مجمع اللغة العربية بالقاهرة لإثراء النماذج المدروسة وتوسيعها لتكون شاملة، لكنّ محاولتي باءت بالفشل⁽¹⁾. ولدينا نموذج آخر⁽²⁾ يكشف عن طبيعة المعجم أكثر مما كشف لنا النموذج المطبوع، وهذا النموذج لم يطبع على أنّه جزء من المعجم، فقد قدّمه فيشر إلى مجمع اللغة العربية نموذجاً على نظريته في المعجم التاريخي، حينما طُلب منه وضع خطة له، كما أنّه قدّمه ثانية مثلاً على معجمه التاريخي الخاصّ الذي ندرسه هنا . والاطّلاع على هذا النموذج الذي هو جزء من مادّة لغويّة واحدة هي (أخذ) يدلّ على الشمول والسعة اللذين كان فيشر يسعى أن يتّصف بهما معجمه، حيث يشتمل على الثلث الأوّل من مادّة (أخذ) بمعانيها التي جمعها وصنفها.

(1) قابلت أمين المجمع د. إبراهيم التريزي رحمه الله وطلبت منه الإذن بالاطّلاع على بطاقات فيشر فنفي وجودها في المجمع، مع أنه أصبح من المعلوم للباحثين المهتمّين بمعجم فيشر أن أغلب بطاقاته بقيت في المجمع، واستفاد منها في إعداد عدّة معاجم.

(2) وجدت هذا النموذج مطبوعاً على أنه مثال تطبيقيّ على المعجم التاريخي، فنُشر مع خطة المعجم التاريخي التي قدّمها فيشر إلى المجمع، ونشرها في (تقرير خاصّ بطريقة تأليف المعجم التاريخي الكبير للغة العربية) في ملحق مجلة المقتطف ج 3 المجلد 114 ص 3-36، ونشره إسماعيل مظهر عند حديثه عن معجم فيشر في مجلة المجلة - العدد 40 - السنة الرابعة 1379-1960 ص 20-24.

وفي المداولات السابقة بين أعضاء المجمع ما يدلّ على أنه قدّم نموذج (أخذ) مثلاً من معجمه، ودارت بينهم مناقشات حول تلك المعاني، ودليل آخر على ذلك ما كتبه عبد القادر المغربي في مجلة المجمع العلميّ العربيّ (الجزء الرابع - المجلد الرابع والعشرون) ص 500، بعنوان (معجم الدكتور أ. فيشر - وصفه ونقده)، فقد ذكر أن فيشر قدّم (أخذ) نموذجاً من معجمه، فدرسه ونقده. وما مضى دليل على أن هذا النموذج قدّمه فيشر مثلاً على معجمه الخاصّ والمعجم التاريخي.

ذكر فيشر في إحدى جلسات المجمع أن لديه ستمائة جزازة في معاني (أخذ)، لكنه اكتفى بثلاث المادّة عندما طلب منه المجمع كراسة صغيرة⁽¹⁾، وستكون الدراسة هنا خاصّة بما طبع من معجم فيشر، لكنني سأقف عند نموذج مادة (أخذ).

المنهج التاريخي في صناعة معجمه :

يمثّل سلوك المنهج التاريخي الهدف الرئيس في معجم فيشر، فقد كان صاحب التجربة الناضجة الأولى بين معاجم العربيّة، ولذا أدار حول هذا الأمر الحديث في عدّة مواضع من مقدّمته، شأن أي صاحب دعوة جديدة يدعو إلى نظريته.

المعجم في نظر فيشر:

بعدّ أوجست فيشر من أبرز المستشرقين في ميدان صناعة المعجم، وأقواهم أثراً فيه، وكانت جهوده المعجميّة معتمدة على أسس واضحة لديه، تنطلق من اتجاه يؤمن به في ميدان المعجم.

ولكي نعرف اتجاهه في هذا الميدان يحسن أن نعرف نظريته التي دعا إليها، ثم نتعرف تطبيقه لها في معجمه.

نظريته في صناعة المعجم التاريخي:

لفيشر نظريّة في تأليف المعجم بينها حينما قدّم تقريره الخاص⁽²⁾ بطريقة تأليف المعجم التاريخي الكبير للغة العربيّة، قدّمه إلى مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، ذلك التقرير يبيّن المعجم المثالي في نظره، أمّا صنع المعجم فكان شيئاً آخر، فهو يحتاج إلى

(1) ينظر: محاضر الجلسات - دور الانعقاد الثالث - الجلسة (8) 1354/11/1 هـ - 1936/1/25 م،

ص 108-115

(2) تقرير خاصّ بطريقة تأليف المعجم التاريخي الكبير للغة العربية - وضعه أ. فيشر - ملحق في مجلة المقتطف

- الجزء الثالث - المجلد (114) ص 3-36، وكان المجمع قد أصدر قراراً بأن يقوم فيشر بعمل نموذج

لجزازات المعجم، وأن يضع تقريراً يشرح فيه طريقة العمل. ينظر: محاضر الجلسات - دور الانعقاد الثاني -

الجلسة (3) ص 29.

من يطبق تلك النظرية، ولذا فحينما بدأ بصنع المعجم التاريخي لم يلتزم بكل ما ذكره في خطة المعجم التاريخي الكبير، لأن ذلك التقرير أعدّه مجمع اللغة العربية، أمّا معجمه الخاص فلم يلزم نفسه بكل ما ذكره هناك، لأنه لا يستطيع القيام به وحده.

ومّا فعله فيشر لكي يكون صنع المعجم ملائماً له أن جعل له حداً زمنياً يمتد إلى نهاية القرن الثالث الهجري، وهو زمن العربية الفصحى في أوج كماها.

أمّا ما ذكره في تقريره الخاص فلم يحدّد المعجم بفترة زمنية، بل ذهب إلى أنّه يجوي كلّ كلمة وردت في الكتب العربية القيمة دون وضع حدّ زمنيّ لنهايته.

وقد يحار الباحث فيما قد يظهر من تناقض أو غموض في آراء فيشر حول معايير قبول المادة اللغوية؛ فهو في مناقشات دارت في المجمع حول المولّد، واختلاف الآراء في تحديد عصر المولّد قال: "أرى أنّ هناك خلافاً في تحديد زمن المولّدين، ونحن في أوربا نرى أنّ زمن المولّدين يبتدئ من دولة بني العباس، وكلام أهل العصر العباسي عندنا لا يحتجّ به"⁽¹⁾، وكلامه هذا دليل على إدراكه الفرق بين مستويات الكلام التي سار عليها علماء العربية.

ولنا أن نتساءل حول رأيه السابق: هل يؤمن فيشر بقصر الاحتجاج اللغوي على نهاية العصر الأموي، وقد تساءل في مقدمة معجمه عن كيفية كون معجم العربية ملائماً للتطور العلمي للعصر الحاضر، وأجاب عنه بوجوب اشتمال المعجم على كل كلمة - بلا استثناء - وجدت في اللغة⁽²⁾.

وأساس نظريته أوضحه في بداية تقريره بقوله: "لا ينشأ المعجم على أساس بقية المعاجم العربية التي نشرت قديماً وحديثاً، ولا يقتدي بأسلوبها، بل يمتاز عنها

(1) محاضرات الجلسات - دور الانعقاد الأوّل - الجلسة (23) 333/1.

(2) ينظر: مقدمة فيشر ص 22.

بأشياء مهمة تُعرف بما هو آتٍ"، ثم ذكر الأسس لذلك المعجم، وسأعرضها بعد إعادة ترتيبها على النحو التالي:

الأساس الأول: مادة المعجم:

في مقدمة معجمه أشار إلى رأيه في المعجم الذي تحتاجه العربية، فتساءل عن كيفية كون معجم العربية ملائماً للتطور العلمي للعصر الحاضر، وأجاب عنه بوجوب اشتغال المعجم على كل كلمة - بلا استثناء - وجدت في اللغة⁽¹⁾. ولكنه حينما بدأ بإصدار معجمه جعل له حداً زمنياً يبدأ بنقش النماراة من القرن الرابع الميلادي وينتهي بنهاية القرن الثالث الهجري، وفي الزمان الذي حدّد بدايته ونهايته ذهب إلى أن كلّ الكلمات التي جاءت في الآداب العربية في تلك الفترة يتناول بحث تاريخها.

وأشير إلى الاختلاف بين مادة معجمه هذا، وقد حدّدها بنهاية القرن الثالث، ومادة المعجم الذي يدعو إليه، ويمثل نظريته في المعجم، وهو المعجم الذي ذكر أن مرسوم إنشاء مجمع اللغة العربية أشار فيه إلى وضع معجم تاريخي للغة العربية، وقد نبّه إلى التفرقة بين ذلك المعجم ومعجمه بقوله: "وهذا المعجم ليس هو المعجم الذي ذكر في صفحة 21 أنه من أعمال مجمع اللغة العربية، وهو - كما يُستدلّ من عنوانه - معجم تاريخي للغة الآداب العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، أي حتى منتهى ما وصلت إليه اللغة العربية الفصحى من الكمال"⁽²⁾.

وقد يبدو لنا بعض التناقض في ذهابه إلى أن المعجم الذي تحتاجه العربية يجب أن يحوي كل كلمة في الكتب العربية القيّمة، ووقوفه في صنع معجمه عند نهاية القرن

(1) السابق ص 22

(2) السابق ص 25-26.

الثالث الهجري، إلى جانب إيمانه - كما ذكر - أن زمن المولدين يبتدئ من دولة بني العباس، ولذا فكلام أهل العصر العباسي لا يحتجّ به.

ويترجح لي هنا أن فيشر كان بين اتجاهين: أحدهما متأثر بالنظر إلى اللغة على أنها دائمة التطور ولا حدود لتطورها فكله مقبول، وآخر متأثر بنظرة العرب إلى وجود مستويات للغة محدودة بأزمة محددة، منها ما يقبل ومنها ما يُردّ.

ولذا فعند التطبيق حاول الانتقاء والاصطفاء للمستوى الفصيح المقبول، فرأى أن مادة المعجم تحوي جميع الألفاظ وصيغ الألفاظ والتراكيب والمعاني المختلفة للألفاظ الواردة في الكتب العربية التي لها أهميتها بين المؤلفات العربية القيّمة، ويتضح مستوى مادة المعجم من الاطلاع على مصادره التي اقترحها وقدم نماذج لها في خطته. مصادر المادة:

ذكر فيشر في الجزء المطبوع من معجمه قائمة بالمصادر التي أخذ منها شواهده وتعليقاته، وسردها على الترتيب الألفبائيّ بذكر المختصر الذي يشير إلى المصدر في ثنايا المعجم، وأمامه اسمه كاملاً، وأحصيتها فبلغت مائتين واثنين وتسعين مصدراً⁽¹⁾، ومع كثرتها إلا أنها لا تعدّ شاملة لعصور العربية أو مواضعها أو ميادينها، حيث ذكر أنه سيقف عند نهاية القرن الثالث الهجري، وهو تحديد لا يعني أنه يرى عدم تدوين ما جاء بعد ذلك الزمن، ولعله أراد بذلك التحديد أن يكون التجربة الأولى في صناعة معجم تاريخي، يبدأ بما قبل الإسلام مع القرون الثلاثة، ثم تليها جهود أخرى تستكمل ما نقص منها.

ولما يُلاحظ على قائمة مصادره أنها " اختيرت في جُلّها وعن قصد من المصادر المجموعة التي حقّقها ونشرها المستشرقون دون غيرهم، ولقد اختلطت فيها النصوص

(1) سأذكر في هذا الموضع عدداً قليلاً من مصادره على سبيل التمثيل، وهي المصادر التي وجدت في بطاقاته التي أطلعت عليها إحدى لجان الجمع، وقدّمت تقريراً عن المعجم ومصادره.

المدونات بالمراجع الثانوية، لأن المؤلف لم يفصل بين النصوص الأصول والمراجع الثانوية التي يستعين بها للاستدراك على بعض السقطات أو الفراغات في النصوص الأصلية، فلقد حشر النوعين من النصوص في زمرة واحدة، كأنها منسوية في القيمة من حيث صلتها بالمعجم التاريخي⁽¹⁾.

واعرض هنا مصادر فيشر التي وجدت في البطاقات لجميع الحروف باستثناء حرفي الدال والذال، وهي صورة لعمله، لكونها نُقلت من بطاقته:

- | | | |
|---|----------------------------|------------------|
| 1- البخاري | 2- عبد الله بن قيس الرقيات | 3- الأصمعيات |
| 4- ديوان لييد | 5- ديوان القطامي | 6- ديوان المتلمس |
| 7- الكميت (الهاشميات له بتحقيق هيروفتس) | 8- لسان العرب | |

أما حرفا الدال والذال فقد وجد في بضاقتهما عدد كبير من المراجع غير ما ورد في بقية الحروف، وقد ذكرت بأسماء مختصرة، منها ما هو مشهور ومنها ما يذكره باسم صاحبه، ولكنها تعطي المطلع صورة جلية عن مراجعه:

- | | | |
|-------------------|--------------------|---------------|
| 1- القرآن | 2- الكامل | 3- التاج |
| 4- الجاحظ | 5- المفصل | 6- القزويني |
| 7- البحري | 8- الأضداد | 9- القاموس |
| 10- المزهري | 11- الثعالب | 12- الشنفرى |
| 13- الفرزدق | 14- المتنبي | 15- الأخطل |
| 16- الزمخشري | 17- حمزة الأصفهاني | 18- ابن خلدون |
| 19- سيويه | 20- الأغاني | 21- المعلقات |
| 22- ديوان الحماسة | | |

(1) تاريخ المعجم التاريخي العربي في نطاق العربية: المبادرات الرائدة - أ. د. محمد رشاد الحمزاوي (مجلة للمعجمية 5-26/6).

23- البيضاوي	24- علقمة	25- الطبري
26- أبونواس	27- ابن بطوطة	28- المقرئزي
29- كعب بن زهير	30- البيروني	31- ابن الوردي
32- البكري	33- الكشاف	34- الحادرة
35- ياقوت	36- الملاحن	37- المنجون
38- الواقدي	39- الأعشى	40- المقصورة
41- الجوهري	42- المثقب العبدى	43- خليل الظاهري
44- المعري	45- ألف ليلة وليلة	46- الدرّة اليتيمة
47- السموئل	48- الواحدى	49- أبو بكر الخوارزمي
50- المقدسي	51- مجموعة من أعمال بعض الغربيين ⁽¹⁾	

ويتّضح من تلك المصادر أنّ فيشر رجّع إلى مصادر من تلك التي اعتمدها علماء العربيّة، إلى جانب كتب أخرى من عصور مختلفة بما فيها العصر الحديث، وسبب غلبة المراجع القديمة المشتملة على الفصيح دون غيره، ليس لكونه يؤمن بحدود الفصاحة التي ضربها العلماء، وإنما لكونه ذكر أنّه سيقف في تتبع التطوّر التاريخي للمعاني عند نهاية القرن الثالث الهجري.

ولم يلتزم فيشر في مصادره بأن تكون كلّها من كتب الأصول التي تحتوي على الألفاظ، حيث كان هدفه ذلك، إلاّ أنّه نبّه في مقدّمته إلى أنّ من الكلمات ما لم يجد لها شواهد في المصادر الأصليّة، ولذا رجّع إلى بعض المعاجم العربيّة القديمة، مثل:

- 1- الجمهرة - ابن دريد.
- 2- تاج العروس - الزبيدي.
- 3- الصحاح - الجوهري.

(¹) ينظر: محاضر الجلسات في الدورة (16): (تقرير عن معجم الدكتور فيشر) ص 41-43.

- 4- العين - الخليل.
 - 5- القاموس المحيط - الفيروزآبادي.
 - 6- لسان العرب - ابن منظور.
 - 7- المجمل - ابن فارس.
 - 8- المخصّص - ابن سيّدة.
 - 9- مقاييس اللغة - ابن فارس.
- ورجع أيضاً إلى كتب حديثة لمستشرقين، مثل:
- 1- قواعد النحو العربيّ - هـ. ركندورف.
 - 2- القرابة والزواج عند العرب القدماء - و. ر. سميث.
 - 3- في نحو اللغة العربيّة الفصحى - ت. نولدكه.
 - 4- ذيل للقواميس العربيّة - ر. دوزي، وهو تكملة المعاجم العربيّة.
 - 5- مدّ القاموس - لين.
 - 6- مستدركات على المعاجم العربيّة - للنمساوي أ. فون كريمر.
 - 7- دائرة المعارف الإسلاميّة.
- والتعليل لرجوعه إلى كتب حديثة للمستشرقين - كمعجم دوزي - هو أنّ أغلبها مختصّ بالعربيّة الفصحى، فالمهمّ عنده أنّ تكون الألفاظ داخلّة في تحديده الزمنيّ، أمّا الكتب فلا ضير أنّ تكون من عصور متأخرة.
- ولنا أنّ نتساءل عن التوفيق بين ما ذكره فيشر من أنّ معجمه معجم تاريخيّ للغة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، والمصادر التي رجع إليها بعد القرن الثالث مثل: أساس البلاغة واللسان والقاموس المحيط، ومعاجم المستشرقين كمعجم لين (مدّ القاموس)، والذي يظهر لي هنا أنّ تحديده الزمنيّ هو للمادّة اللغويّة، فلا يدخل في معجمه إلّا ما كان في نطاقها الزمنيّ، أمّا المصادر فغير مقصود تحديدها زمنياً، بل المهمّ أنّ تكون مادّتها من ذلك العصر، وهذه القضية قد تُسبّب التوهّم بأنّ فيشر اقتصر في المصادر حتى نهاية القرن الثالث.

ووقع في الوهم بعض الباحثين فظنّ أنّ التحديد للمصادر، فالمستشرق الألماني مانفريد أولمان قال: "فقد كانت مقتبساته تقتصر على المصادر المؤلفة حتى عام 300هـ⁽¹⁾، ووهم د. أحمد مختار عمر أيضاً فرأى أنّ فيشر وقع في تناقضٍ فرجع إلى الزمخشري في القرن السادس⁽²⁾.

ومّا رجّح لديّ أنّ التحديد للمادّة لا للمصادر ذكره أنّ معجمه "معجم تاريخيّ للغة الآداب العربيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، أي حتى منتهى ما وصلت إليه اللغة العربيّة الفصحى من الكمال"⁽³⁾، وهو صريح في تحديده اللغة التي يجويها بنهاية القرن الثالث.

أمّا مصادر المادّة للمعجم التاريخيّ الذي تحتاجه العربية فهي أوسع من مصادر معجمه، ففي التقرير الخاصّ بتأليف المعجم التاريخيّ الكبير للغة العربية، وهو التقرير الذي قدّمه إلى المجمع، ذكر أنواع محتويات المعجم فذكر أنه يشمل جميع الألفاظ وصيغ الألفاظ والتراكيب والمعاني المختلفة للألفاظ الواردة في الكتب العربية التي لها أهميتها بين المؤلفات العربية القيمة، وكذلك الواردة في خير المعاجم العربية الكبيرة، وتكملة المعاجم العربية لدوزي والعديد من المستشرقين.

وقد يبدو ذكر فيشر المعاجم العربية من مصادر المادة غريباً لأنّ الأصل لديه أن تكون مصادر المعجم المصادر الأصلية الأولى للعرب لا المعاجم، لكنه رأى

(1) معجم اللغة العربية الفصحى - مانفريد أولمان (ضمن كتاب: ألمانيا والعالم العربي، دراسات تناول الصلات الثقافية والعلمية والفنية بين الألمان والعرب - حققه بالألمانية أ. د. هانس روبرت رويبر، ترجمه د. مصطفى ماهر، د. كمال رضوان ص 334).

(2) ينظر: البحث اللغويّ عند العرب - أحمد مختار عمر ص 276.

(3) ينظر: مقدمة فيشر ص 25.

الرجوع إلى المعاجم عند عدم وجود مصدر لأحد الألفاظ، وقد صرّح بعدم الرجوع إلى المعاجم في إحدى مداولات المجمع حول مصادر المعجم⁽¹⁾ ..

وتلك المصادر التي ذكرها في تقريره أراد بها تقديم نماذج منها، ولم يرد بها الحصر، وبعد نهاية حديثه عن نظريته قدّم نموذجاً للمعجم من مادة (أخذ)، ثمّ قدّم قائمة بالمصادر التي رجع إليها، فبلغت (131) مصدراً، ولا شكّ أنه لم يرد بها الحصر أيضاً فلو أطلعنا على قائمة مصادر معجمه التي وضعها في نهاية الجزء المطبوع منه فسنجدتها أكثر من هذه، حيث بلغت (292) مصدراً، مع أن معجمه يقف عند نهاية القرن الثالث، أمّا دعوته هنا إلى المعجم التاريخي فأراد بها معجماً شاملاً للعربية في جميع العصور، فيتضح أن مصادر المعجم التاريخي الذي دعا إليه ستكون شاملة لكل العصور، وستكون أكثر من مصادر معجمه.

طريقة جمع المادة:

ذكر طريقة جمع مادة المعجم باستعمال جذازات، بأن يُفرد لكل كلمة وتركيب ومعنى جذازة خاصة، وتُصمّم كما يلي :

على يمينها الكلمة المخصوصة بين هلالين كما هي في المصدر المنقولة منه.
على يسارها يذكر الفعل الماضي إن كانت الكلمة المخصوصة فعلاً، والمفرد مرفوعاً إن كانت الكلمة اسماً.
في أعلاها أصل الكلمة.

وفيها ذكر الجملة أو البيت الذي وردت فيه، وتفسيرها، وذكر قائلها والمصدر مع رقم الصفحة والسطر في النشر، ورقم القصيدة أو القطعة أو البيت في النظم، ثمّ نبه إلى ترتيب الجذازات بعد الفراغ ترتيباً ألفبائياً.

(1) ينظر: محاضر الجلسات - دور الانعقاد الثاني - الجلسة (13) ص 136.

وأورد نموذجين على تصميم بطاقته، واحد للأفعال والآخر للأسماء، وأوردتهما هنا زيادة في التوضيح:
نموذج للأفعال:

بكى	(بُكِيَ)
بَكَى	
معروف	
(to weep ; pleurer)	
امرؤ القيس: المعلقة بيت 1	

نموذج للأسماء:

نزل	(وَمَنْزِلٌ)
مَنْزِلٌ	
مكان النزول: معروف	
temprary quarters of nomads , camp; habitation	
temporaire de bedouins	
امرؤ القيس: المعلقة بيت 1	

وطريقة جمع مادة المعجم التي ذكرها كانت ملائمة لعصره، لكنها الآن تبدو وقد تجاوزها الزمن في عصر الحاسب، ويعلم أيّ متخصص أن الحاسب يعطي المعجمين إمكانات كبيرة لجمع مواد المعجم وصياغتها وترتيبها. وقد خصّ بعض مكونات مادة معجمه بالتنبيه على ما يذكره وما لا يذكره منها، ومن أهمها:

— أورد أسماء الأشخاص والقبائل والبلاد أحياناً إذا احتمل أنها تبين معنى اسم جنس.

— لم يورد المشتقات القياسية مثل: صيغ الأفعال، وصيغ أسماء الفاعل والمفعول، وصيغ المصادر للأفعال المزيدة، إذا لم يكن لها معان خاصة. فإن كان لها معان خاصة أوردتها مثل: حاكم، شاهد، عامل، قاضٍ، كاتب، وال، مؤذن، مسلم، مؤمن، مشرك، مبتدأ، مجتهد، متحسب، تاريخ، تجنيس، مزوجة، إسلام، إضافة، إقواء، اقتضاب، استدراك⁽¹⁾.

الأساس الثاني: المداخل:

بنى فيشر مداخل معجمه بالتفريق بين الكلمات العربية والأعجمية على النحو التالي:

مع الكلمات العربية:

جعل المدخل المادة الأصلية مجردة من الزوائد، ووضع تحتها مشتقاتها، شأنه شأن أغلب المعجميين الذين يدركون قيمة وضع المشتقات تحت مادة واحدة في العربية، لكونها لغة اشتقاقية. ومع وضوح هذا الأمر لكتبي أورد بعضاً من مداخله لكون بعضها حروفاً وبعضها كلمات:

بدأ معجمه بذكر بعض أنواع الألف في مداخل منفصلة على النحو التالي:
(أ لف الاستفهام) ثم (حرف القسم) ثم (أ لف النداء).
ثم (!) ثم (آ) ثم (آء) ثم (آح) في مداخل مستقلة.

(1) مقدمة فيشر ص 27-28

وبعد أن ذكر عدداً من الكلمات الأعجمية أورد (أب) وأحال إلى (أبو)، ثم ذكر مدخلاً آخر هو (أيب) وذكر تحته ما اشتق منه في عنوانات مستقلة مثل (أبت) و (إيتب) و (أبت) و (أباب) و (إبان) .

مع الكلمات الأعجمية:

جعل لكل كلمة أعجمية مدخلاً خاصاً، يوردها على صورتها التي هي عليها، دون أن يعيدها إلى أصل عربي، إلا إذا تصرف بها العرب، قال في مقدمته: "والكلمات الأعجمية المعربة الزائدة على ثلاثة أحرف تتبع الكلمات العربية في ترتيب المعجم إن تصرف فيها العرب بالاشتقاق، مثل: إبريق، دكان، ديباج، أسوار، سراويل، وهلم جراً (تجدها في مادة " برق "، " دكن "، " ديج "، " سور "، " سرول " وهلم جراً) .

أما ما لم يتصرف فيه العرب بالاشتقاق فتعتبر حروفه كلها أصلية، مثل إبريسم، إستبرق، بنفسج، سفرجل، شطرنج، وهلم جراً، غير أنني أوردت أيضاً " إبريق، دكان، ديباج، أسوار، سراويل "، وهلم جراً على حدة، مشيراً إلى مادة " برق "، " دكن "، " ديج "، " سور "، " سرول " وهلم جراً، لكي يتيسر العثور على جميع الكلمات الأعجمية المعربة دون عناء" (1).

ومن أمثلة الكلمات الأعجمية:

أورد بعد (آح):

(آذين) وهي فارسية.

ثم (آزادمرد، آزادمرد) وهي فارسية.

ثم (آسمانجوي، آسمانجوي) وهي فارسية.

ثم (آهندال) وهي فارسية، وكل تلك الكلمات في مداخل مستقلة.

(1) مقدمة فيشر ص 27.

الباب الأوّل: باب نصر ينصر، وعلامته (ن).
الباب الثاني: باب ضرب يضرب، وعلامته (ض).
الباب الثالث: باب قطع يقطع، وعلامته (ع).
الباب الرابع: باب علم يعلم، وعلامته (ل).
الباب الخامس: باب كرم يكرم، وعلامته (ر).
الباب السادس: باب حسب يحسب، وعلامته (س) وهو قليل.
وذكر ضرورة إيراد مصادر الثلاثي بعد أبيته.
وتذكر جميع الأسماء المفردة معها.
وفصل ذكر الأبنية المقيسة المطردة كاسم المرّة، ومصادر ما فوق الثلاثي واسم
التفضيل وأفعال التعجب وجمع السلامة بقسميه.
ومن اللغويين المعاصرين من استحسّن ترتيب فيشر للمشتقات عند حديثه عن
ضرورة ترتيب المشتقات في المعجم العربيّ، تجنّباً لما وقعت فيه المعاجم القديمة من عدم
التنظيم، وقد نسبه إلى الغربيين، ونوّه بتجربة فيشر⁽²⁾.
ومن الأمثلة على الترتيب الداخلي:
— مادّة (أ ب): بدأ بـ (أ ب) ثمّ (إ ب ب) ثمّ الأسماء (أ ب) ثمّ (أ ب ا ب) ثمّ
(أ ب ا ب ا ب) ثمّ (إ ب ا ن)⁽³⁾.

(1) ينظر: تقرير خاصّ بطريقة تأليف المعجم التاريخي الكبير للغة العربيّة) في ملحق مجلة المقتطف ج 3 المجلد

114 ص 8-9

(2) ينظر: من قضايا المعجميّة العربية المعاصرة - عفيف عبد الرحمن (في المعجميّة العربية المعاصرة ص
388).

(3) معجم فيشر ص 23-27.

— مادة (أ ب د) : بدأ بذكر أصلها السامي، ثم بدأ بالمشتقات: (أ ب د) ثم (أ ب د)
(ثم (أ ب د) ثم الحماسي: (ت أ ب د) ثم الأسماء: (إ ب د) ثم (أ ب د) ثم (أ ب د) ثم (إ ب د)
ثم (إ ب د ، أ ب د) ثم (أ ب د) ثم (أ ب د) ثم (أ ب د) ثم (أ ب د) ثم (أ ب د) ثم (أ ب د)
(ثم (مؤ ب د) ثم (متأ ب د)⁽¹⁾.

ترتيب الكلمات المعربة:

لكون الكلمات المعربة غير أصيلة في العربية جعل فيشر لها ترتيباً خاصاً يضبط موقعها دون حدوث اضطراب فيه، بخلاف ما سار عليه أكثر المعجميين.
لم يتحدث عن الكلمات المعربة الثلاثية إذا وجدت، مما يفهم أنها تتبع الكلمات العربية، أما الكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف ففصل فيها على النحو التالي:

— تتبع الكلمات العربية في الترتيب إن تصرف فيها العرب بالاشتقاق مثل: إبريق، دكان، ديباج، أسوار، سراويل... (يذكرها في مادة: برق، دكن، دبح، سور، سرول) ثم يضعها في مداخل مستقلة ويحيل إلى مواضعها ليتيسر العثور عليها.
— تعدّ حروفها كلها أصلية وترتب على صورتها إذا لم يتصرف فيها العرب بالاشتقاق مثل: إبريسم، إستبرق، بنفسج، سفرجل، شطرنج⁽²⁾.
أمثلة على ترتيب المداخل:

المداخل العربية رتبها على المادة، وذكر تحتها مشتقاتها، أما الأعمية فرتبها بحسب صورتها التي هي عليها - إذا لم يتصرف بها العرب - كما في المواد التالية:
بدأ فيشر الكتاب بحرف الألف عامة، ثم ألف الاستفهام، ثم حرف القسم، ثم ألف النداء، ثم (إ) ثم (آ) ثم (آء) ثم (آح) ثم (آذين) ثم (آزادمرد،

(1) السابق ص 32-53.

(2) مقدمة فيشر ص 27.

آزادمرد) ثمّ (آسمانجوي، آسمانجوي) ثمّ (آهندال) ثمّ (آي) ثمّ (آين، آين) ثمّ (أب) ثمّ (أبب).

ونلاحظ هنا أنّ فيشر رتبّ الكلمات الأعجميّة على صورتها التي هي عليها، لأنّ العرب لم يتصرّفوا فيها بالاشتقاق، فأوردها بجميع حروفها في الترتيب.

الأساس الرابع: الشرح:

يأتي الشرح رابع أسس صناعة المعجم، ولدى فيشر نستنبط هذا الأساس ممّا ذكره في خطة المعجم التاريخي الكبير، ومقدمة معجمه عن طريقة دراسة الألفاظ، مع ملاحظة الجانب التطبيقي في الجزء المطبوع من معجمه.

ففي خطة المعجم التاريخي الكبير ذكر عدّة قضايا تدخل في بالشرح أعرضها على النحو التالي:

— ضبط جميع كلمات المعجم بدقّة، إمّا بذكر مثال مشهور، أو بالنصّ على حركات حروفها.

— الاستشهاد للكلمات والتراكيب والمعاني المختلفة، ويذكر مع الشاهد المصدر الذي أخذ منه، مع ذكر المؤلف أو الشاعر، ورقم الصفحة والسطر أو القصيدة والبيت.

ويكتفى مع الكلمات كثيرة الدوران بالمهمّ من الشواهد الدالّة على خواصّها وزمن استعمالها، ودائرته، مع ذكر علامة خاصّة تشير إلى كثرة ورودها.

أمّا الكلمات قليلة الوجود فتذكر كلّ المواضع التي وردت فيها.

— التفرقة بين شواهد النثر والشعر بوضع نجمة أو علامة أخرى مع الشعر.

— ترتيب الشواهد تاريخياً بحسب تواريخ مصادرها، لمعرفة حياة الكلمات

وتاريخها

— وضع علامة خاصّة بالمعربّ والدخيل، مع ذكر أصله بدقّة.

— التعريف بالحيوان والنبات بدقّة، لتمييز كلّ واحد منها عن غيره، مع ذكر اسمه العلمي.

— تفسير الاصطلاحات الحديثة بأسمائها العلميّة⁽¹⁾.

أما عن طريقته في دراسة الألفاظ فقد ذكر في مقدّمته وجوب أن تُعرض كلّ كلمة عند دراستها على وجهات النظر السبع: وهي التاريخيّة والاشتقاقية والتصريفية والتعبيرية والنحوية والبيانية والأسلوبية⁽²⁾، وأسستعرض ملامح تلك الوجهات في ثنايا الكتاب لمعرفة تطبيقه لها:

— الوجهة التاريخيّة: إنّ أهمّ ما في هذه القضية رصد تطوّر معاني الكلمة في جميع الأطوار التي مرت بها، وذكر شواهدا مرتبة ترتيباً تاريخياً.

لكنّ ترتيب المعاني لا يكون في كلّ كلمة ذكرها بسبب عدم تعدّد المعاني لكلّ كلمة، فمن الكلمات ما يكون لها معنى واحد، ومنها ما يكون لها أكثر من معنى، وليس بينها أيّ رابط معنوي، وهو ما يعطينا دلالة على أنّهما معنيان مستقلّان وليس أحدهما تطوّراً عن الآخر.

مثال:

ذكر معاني (أبد) وأولها: الدهر الطويل غير المحدّد، وذكر أولاً تعريف الأبد عن الراغب في المفردات، ثمّ ذكر الشواهد الشعريّة لهذا المعنى، وهي على الترتيب: بيت لطرفة، بيت لزهير، بيت لحسان، بيت لجريز، بيت من النقائض لخدّاش بن بشر، بيت للطرمّاح، بيت من الكامل لابن الأثير ونفح الطيب للمقري غير منسوب.

(1) ينظر: (تقرير خاصّ بطريقة تأليف المعجم التاريخي الكبير للغة العربيّة) في ملحق مجلة المقتطف ج 3 المجلد

114 ص 9-10

(2) ينظر في تفصيل الحديث: مقدمة فيشر ص 22-25.

ثم ذكر مثلين من الميداني، ثم عبارة من كتاب الأموال لأبي عبيد، ثم عبارة من أساس البلاغة للزمخشري، ثم عبارة من المغرب للمطرزي. ونلاحظ أنه حاول ترتيب الشواهد ترتيباً تاريخياً إلا ما جهل قائله أو لم يعرف تاريخه.

وبعد تلك الشواهد على المعنى الأوّل ذكر تركيبات أخرى لـ (أبد) - استشهد لها بشواهد مثل: للأبد، لأبد، لأبد أبداً، إلى الأبد، ثم تحدّث عن (أبدًا) ظرف زمان ومعناه: دائماً دون انقطاع، وذكر أنّ العرب قالوا بدل أبداً: الأبد وعلى الأبد وفي أبداً، واستشهد لها بشواهد، وذكر ورود (أبدًا) في الكلام المنفي واستشهد لها.

وذكر عدّة تركيبات لتوكيد (أبدًا، الأبد): أبدأ الآباد، أبدأ الأبد، أبدأ الآبد، أبدأ الأبدية، أبدأ الأبيد، أبدأ الأبد، أبدأ الأبيد، أبدأ الدهر، آخر الأبد، واستشهد لها بشواهد.

ثم ذكر المعنى الثاني لـ (أبد) وهو: الدهر مطلقاً. ثم المعنى الثالث وهو: ذو، ذات أبدأ أي دائم، دائمة. ثم المعنى الرابع وهو: الولد الذي أتت عليه سنة. وكما يظهر لنا فإنّ المعاني الأربعة ليس بينها رابط معنوي لكي يمكن ترتيبها، وبذا فإنّ قضية الترتيب لا تتناول إلاّ عدداً قليلاً من المعاني. مثال آخر:

ذكر المعنى الثاني لـ (تأبّد) وهو حقيقي: تأبّد وحشّ أو ناسٌ: عاش في القفار، ومجازي وهو: تأبّد بمعنى تعزّب [وتبتّل] عن النساء. ص 36
ثم قال: وكان تطوّر هذا المعنى كالتالي: (1) تأبّد: توحش أي عاش في القفار، (2) ترهب أي عاش كالراهب في القفار، (3) تعزّب كالراهب.

— الوجهة الاشتقاقية: تتناول البحث عن أصل الكلمة ونسبها، ويرتبط بها علم ضبط الهجاء، أما الكلمات المعربة فترد إلى أصولها بقدر الإمكان، وذكر أن مؤلف المعجم لا بد أن يكون متمكناً من اللغات السامية والفارسية والتركية واليونانية واللاتينية وغيرها.

أما ذكره مشتقات الكلمة فذكر أنه لم يورد المشتقات القياسية الخاصة بالتصريف اللغوية مثل: صيغ الأفعال، وصيغ أسماء الفاعل والمفعول ومصادر الأفعال المزيد فيها إذا لم يكن لها معنى خاص، فإن كان لها معنى خاص ذكرها مثل: حاكم، شاهد، عامل، قاض، كاتب، وال، مؤذن، مسلم، مؤمن، مشرك، مبتدأ، مجتهد، متحسب، تأريخ، تجنيس، مزوجة، إسلام، إضافة، إقواء، اقتضاب، استدراك. ص 28
ومن الأمثلة على ذكره المشتقات:

— (أبت) : أبت اليوم يَأْبِتُ ويَأْبِتُ أبتاً وأبوتاً، وأبت: اشتد حره وغمه وسكنت ريجه. ص 27

— (أب) : أب الشيء يَنْبُ ويؤبُّ أباً وأبيباً وأباباً وأبابةً وإبابةً: تهيأ وتجهز. ص 23

ونجد هنا أنه لم يذكر مشتقات (أبت) و (أب) القياسية كاسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما، لكن استقصاه للمشتقات واضح حيث أورد مصادر الفعلين المتعددة.

— أبو جاد: بُدلت قديماً صيغة أجد بسبب اشتقاق خاطئ أبو جاد، وتنصرف أبو جاد كما يلي: أبو جاد، أبي جاد، أبا جاد، ووردت أيضاً با جاد للضرورة. ص 30
أما ذكر أصل الكلمة فمن أمثله ذكره احتمال أن يكون أصل كلمة (أبت) سامياً لقرباتها بكلمات — ذكرها — من لغات سامية كالأثيوبية والأكدية والعبرية والآرامية. ص 32

أما ضبط الكلمة بالشكل فهذا ظاهر لا يحتاج إلى تمثيل لظهوره في جزء المعجم المطبوع.

أما ردّ المعربّات إلى أصولها فظاهر كذلك، ومن أمثلته:

– (آسمانجوي، آسمانجوي): نسبة إلى آسمانجون معرّبة، وهي في الفارسيّة آسمان كون، وهي مركبة من آسمان " سماء " وكون " لون "، ومعناها " سماوي اللون، مُزْرَق " وهذا هو أيضاً معنى آسمانجوي. ص 21

– وكذا فعل بـ (آهندال) و (آئين). ص 22

♦ الوجهة التصريفية: تتناول تحديد الصيغ التصريفية للكلمة، أي تصريف الأفعال والأسماء، ويكتفى بالاستشهاد على الحالات التي تحتل الشك، أما الصيغ النادرة فيحسن إيراد جميع شواهداها، وتبّه إلى وجود صيغتين أو أكثر في تصريف الفعل أو الاسم، وإلى عدم وجود بعض الصيغ التي كان يمكن استعمالها وفق القياس. ومن الأمثلة:

أبّ (متعدياً): حرّك، مثلاً: أبّ يده إلى سيفه: ردّها إليه ليستلّه. ص 24

♦ الوجهة التعبيرية: تتناول تحقيق معنى الكلمة أو معانيها، فإذا كان للكلمة عدّة معان تراعى قواعد معينة لترتيب تلك المعاني:
أ – يذكر دائماً المعنى الأوّل للكلمة التي لها معان مختلفة، وهو ما يؤخذ من اشتقاق الكلمة.

ب – يجب في ترتيب المعاني تقدّم العامّ على الخاصّ، والحسيّ على العقليّ، والحقيقيّ على المجازيّ، ويجب مراعاة علم الجاز، ومراعاة استعمال الكلمة اصطلاحياً، ويراعى الترادف بين الكلمات لأهمّيته في الموازنة بين الكلمات المتقاربة المعاني بحصر المعاني ومعرفة فحواها، وإدراك أنّ الفارق بين تلك الكلمات يرجع إلى أسباب تاريخية أو جغرافية، فقد تدلّ كلمة على معنى في زمان ومكان، وتدلّ عليه كلمة أخرى في زمان ومكان آخر.

وتورد الكلمات التي تُناقض الكلمات المذكورة، ويُعرّف بكلّ حيوان ونبات وجماد تعريفاً كاملاً، وتذكر فصيلته واسمه العلميّ، ومن الأمثلة:

- ذكر معنيين لـ (أبو جاد): الأوّل بمعنى (أبجد) ويقصد به حروف المعجم، وهو حقيقي، والثاني مجازي بمعنى مبادئ التعليم المدرسي، ويكون هنا قدّم الحقيقي على المجازي. ص 30-31

- ذكر المعنى الأوّل لـ (أبَد) وهو: أبَدَت البهيمة تأبُد وتأبُد أبوداً، وكذا تأبُدت: توحّشت ونفرت. Lane (أبَد). ص 33

ثمّ ذكر معنى مجازياً وهو: أبَد الشاعر يأبُد أبوداً Lane (أبَد)، وكذا أبَد: أتى في شعره بأوابد، وهي غرائب لا يعرف معناها على بادئ الرأي.

- ذكر معاني (أبَد)، الأوّل: الدهر الطويل غير المحدود ... ثمّ قال: وهو ضد (أزل)، لأنه يعبر عن مدّة لا نهاية لها في حين أن (أزل) يدلّ على مدّة لا بداية لها أي على قدم. ويكون هنا ذكر نقيض الكلمة. ص 37

♦ الوجهة النحويّة: تتناول جميع الصلّات التي تربط كلمة بأخرى، وتتناول ترتيب كلمات لها مواضع معينة في السياق، مثل " فقط، إنّما، أيضاً، وغيرها"، ومراعاة المضمّر أو المحذوف، ومعرفة هل استعمال الكلمة استعمالاً مطلقاً جائز؟، هل الفعل متعدّ أم لازم؟، متى ظهر هذا التعبير أو ذاك للكلمة لأوّل مرّة أو آخرها، وأين؟. لم ألحظ اهتماماً واضحاً بمعالجة فيشر للكلمات في النموذج المطبوع سواء فيما يتعلق بالصلّات بين الكلمات أو ترتيب بعض الكلمات في السياق، وعن استعمال الكلمة هل هو جائز مطلقاً؟ كما أنني لم أجد اهتماماً ببيان المتعدي من اللازم، وإنّما يعرف المتعدي من تمثيله به متعدياً.

أمّا عن زمن ظهور التعبير بالكلمة لأوّل مرّة أو آخرها وأين؟ فإنّ هذا الجانب لا أرى أنّ نه علاقة بالناحية النحويّة إلّا إنّ قصد تركب الجملة لاعتماده على القواعد النحويّة.

أمّا عنايته بالمسائل النحويّة فهي واضحة في الجزء المطبوع، وقد يكون ظهورها فيه لاشتماله على جزء من حرف الهمزة، وهو موضع كثير من الأدوات المتكوّنة من إحدى صور الهمزة.

— الوجهة البيانية: تتناول علاقات الكلمة اللازمة لها دائماً، كالتراكيب أو التعابير التي قضت روح اللغة بوضعها في موضع خاصّ لعامل من عوامل البلاغة، ومن تلك العلاقات:

— صيغة الإتياع والمزاوجة نحو: ساغب لاغب، حريب سليب، وأزب فلان وألب.

— صيغة المشاكلة كقوله تعالى: " ومكروا ومكر الله "، " تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك "، كما تدين تدان، جزاه شرّ جزائه، ونحوها .

— صيغة التوكيد المشتقة من الاسم المؤكّد، نحو: موتٌ مائت، شعرٌ شاعر، العرب العاربة، جهدهً جاهد، صدقٌ صادق، ونحوها .

— صيغة ازدواج عبارتين متضادتين للتعبير عن معنى واحد كقوله تعالى: " الأمر من قبل ومن بعد "، " ما بين أيديهم وما خلفهم "، البعيد والقريب، الداني والقاصي، ما له صامت ولا ناطق .

— الوجهة الأسلوبية: تحدّد المحيط اللغويّ الذي تستعمل فيه الكلمة أو التعبير أو التركيب استعمالاً عاماً أو خاصاً كلغة القرآن والحديث، وأسلوب الشعر والنثر، والأسلوب التاريخي، وأسلوب الفنّون، أو خاصاً كالأسلوب الشخصي لمؤلف معين، حيث يستعمل كلمة أو تركيباً معيناً غالباً، أو يكون له أسلوب خاصّ به.

تدلّ نظرة فيشر هذه على استيعابه الكبير لوظيفة المعجم، وتمكّنه من فهم كثير من خصائص العربية، ذلك الفهم الذي مكنه من الحديث عن تلك الوجهات السبع حديث العارف بما يقول، لكنّ ذلك الحديث لا يعدو أن يكون حديثاً نظرياً لا قيمة له إن لم يؤلّ إلى التطبيق.

أمّا عن الوجهتين البيانية والأسلوبية فلم أجد في النموذج المطبوع عناية بهما؛ ذلك لأنّ النموذج قصير يتناول جزءاً من حرف الهمزة، وغير منتظر أن توجد جميع

الوجهات في كلّ كلمة، ولو أنّ فيشر تمكّن من إكمال جزء من معجمه لكان أغنى
بالنماذج المطلوبة.

وتما سبق تتبيّن ملامح نظرية فيشر المعجمية مستنبطةً من تقريره عن المعجم
التاريخي الكبير للغة العربية الذي قدّمه إلى المجمع، وما ذكره في مقدمة معجمه، إضافة
إلى مادة (أخذ) التي قدّمها نماذج على المعجمين، ولعلّ الوقوف عند نماذج مادة (أخذ)
يعطي صورةً عن التطبيق الفعلي لما ذكره.

نموذج مادة (أخذ):

هذا النموذج يدلّ على الجهد الذي بذله في ملاحقة النصوص التي تشتمل
على المادّة اللغويّة، وهي مادّة (أخذ)، بل الثلث الأوّل منها - على ما ذكره في
خطّته - حيث جمع نصوصها وشواهداها، وكّد ذهنه في الوصول إلى معانيها المتعدّدة،
لا اعتماداً على المعاجم اللغويّة القديمة، وإنما استنباطاً من الشواهد التي جمعها، ولذا
أوصل معاني (أخذ) إلى اثنين وثلثين معنىً، جعل كلاً منها قائماً مستقلاً، لأنّها معانٍ
متعدّدة في رأيه.

تميّزت تلك المعاني بالثراء في شواهداها، حيث جمعها من مصادر كثيرة جداً، أمّا
تعدّد تلك المعاني فلم يألفه العربيّ في المعاجم القديمة، ففي أغلبها يجد فيها واحداً
للمعنى الحقيقي، وآخر للمجازي.

ويرجع تعديد فيشر هذه المعاني إلى نظريته - وهو الأعجمي - إلى الدلالات
اللغويّة المجازيّة على أنّها معانٍ مستقلّة، لعدم إدراك الصلة المعنويّة بين المجازي
والحقيقي، مع أنّ كثيراً منها يدخل تحت المعنى الأصلي، لكنه اكتسب دلالة مجازيّة
من سياقه لا تخرجه عن الدلالة الأصليّة.

وقبل بيان المعاني التي عدّدها فيشر وكان الصحيح جعلها تحت معنى واحد،
يجسّن سرد المعاني التي ذكرها دون أن أذكر شواهداها لكي لا يطول السرد، مع ذكر
عدد شواهد كلّ معنى أمامه، لمعرفة الجهد الذي بذله في جمع شواهد الكثرة:
معاني (أخذ) مع عدد شواهداها:

(أ) أخذ كذا بقوة أو بحيلة:

ويشتمل هذا الوجه على المعاني التالية:

- 1- أمسك شخصاً أو شيئاً، قبض عليه (باليد أو بالذراع أو بالأسنان ونحوها) 12
- 2-2 حاز شيئاً. 2
- 3-3 ذهب بشيء ظلماً أو غضباً. 7
- 4-4 قبض على شيء في الحرب، غنمه. 7
- 5-5 أسر شخصاً، سباه. 9
- 6-6 صاد، (أسر حيواناً برياً). 2
- 7-7 تغلب (على بلد، أرض)، فتح (بلداً، أرضاً). 2
- 8-8 غلب، قهر (ناساً، جيشاً، عدواً). 5
- 9-9 حبس (مجرماً). 4
- 10-10 منع شخصاً، كفه. 1
- 11-11 حجز (على مال). 1
- 12-12 طعن في شخص. 2
- 13-13 تمكّن من شخص أو حيوان فقتله. 5
- 14-14 أهلك واستأصل (ناساً). 1
- 15-15 عاقب، عذب. 5
- 16-16 غلب، قهر بمعانٍ مجازية أي:
 - (1) خلب، أعجب. 1
 - (2) أسكر (الشراب). 1
 - (3) نؤم وما أشبهه. 6
- 17-17 أصاب شخصاً (أمراض، آلام، ضعف بدني). 12

- 7-18- عرا شخصاً (حركات نفسائية).
- 11-19- أصاب، اعترى (ناساً بليّة، عذاب، لومة).
- 6-20- أصاب (ناساً المطر وأمثاله).
- 1-21- سَحَرَ.
- 3-22- ظَفَرَت شخصاً، وقعت عليه (العين، الطرف).
- 5-23- جَهَرَت شخصاً (العين).
- (ب) أخذ كذا بغير قوة أو حيلة:
- (أ) المفعول به شيء ماديّ:
- 23-24- تناول شيئاً (باليد سواء ذكرت اليد أو لم تذكر).
- 12-25- لبس (ثوباً، سلاحاً، زينة).
- 2-26- شرب.
- 5-27- تناول شخصاً، آواه، أجاره.
- 2-28- تزوّج امرأة.
- 7-29- اشترى شيئاً (بثمن كذا).
- 2-30- اقترض شيئاً.
- (ب) المفعول به شيء غير ماديّ:
- 4-31- نال، حصل على (صفة، مزية، رتبة، منزلة).
- 1-32- حافظ (على أمر وما شابهه).

يظهر من النظر في تلك المعاني مبالغة فيشير في التفريق بينها، حتى كأنه عدّد المعاني بحسب ما يقع عليه الأخذ، مع أنّ المعنى واحد لكنه مختلف باختلاف المأخوذ، ولو أخذنا بعض الأمثلة من معانيه لأيقننا أنّ عدم إدراكه رجوع كثير منها إلى معنى واحد هو بسبب جهله بالصلة المعنوية بينها، وهو ما جعله يفسّر اللفظ في كلّ سياق

بالنظر إلى الدلالة المكتسبة من السياق لا إلى الدلالة المكتسبة من اللفظ نفسه، ومن تلك الأمثلة:

— المعنى السادس الذي ذكره لـ (أخذ): صاد (أسر حيواناً برياً)، واستشهد عليه بنصّ هو: "ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته"، وبنصّ فيه: "وقد أخذوا ذنباً فأوثقوه"، ولا يخفى أنّ المعنى لا يخرج عن المعنى الأصلي، وليس خاصاً بالصيد، وإنما جاء الأخذ هنا في سياق ذكر الصيد.

— المعنى الثامن والعشرون: (تزوج امرأة) واستشهد عليه بما في البخاري: "وأخذوا غيرها من النساء"، وبما في سنن أبي داود: "لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية أقام عندها ثلاثاً"، وجليّ عن البيان عدم صحّة هذا التفسير، فالأخذ هنا من المعنى الأساسي، لكنه ورد هنا لحيازة الزوجة، أمّا التزوج فمكسب من السياق والحال لا من اللفظ.

ولعل من أوضح ما ينتج عن جهل الأعجمي باللغة أن يضطرب في التفريق بين المعنى الحقيقي والمجازي للفظ، وهو ما وقع فيه فيشر في نموذجه الذي قدّمه، فمع أنّه نبّه إلى بعض المعاني المجازية، إلاّ أنّه ترك معاني أخرى دون تبيين على مجازيتها، ظلّاً منه أنّها حقيقية، ومن الأمثلة على النوعين ما يلي:

الأوّل: نبّه على المعاني المجازية التالية:

— أصاب (ناساً المطر وأمثاله)، ومثّل عليه بما في البخاري: "أخذهم المطر" و "أخذتهم السماء" ونحوه... ثمّ قال: وهو من المجاز. ص 17

— غلب، قهر بمعان مجازية:

أ- غلب، أعجب، مثل: أخذ الثوب المزخرف القلوب، مأخذه.

ب- أسكر (الشراب) مثل: أخذ الشراب برأسه.

ج- نؤم، واستشهد بالآية "لا تأخذه سنة ولا نوم"، ومثّل: يأخذه النوم

ونحوه. ص 15

الثاني: ذكر المعاني التالية ولم ينبّه على مجازيتها:

— عرا شخصاً (حركات نفسانية) واستشهد عليه بمثل قوله تعالى: " ولا تأخذكم بما رأفة "، وفي البخاري: " فأخذتني غصبة فلطمته "، وقول عائشة: " فأخذني ما قرب وما بعد " ... وغيره. ص 16

— سحر، ومثّل عليه بقولهم: أخذته الأخذة وفسرها بالسحر. ص 17

— ظفرت شخصاً، وقعت عليه (العين، الطرف)، واستشهد بقول العرب: وما ظفرتك عيني منذ زمان أي ما رأتك ... ونحو: فلم تأخذ عينه أحداً غيري. ص 17 وهو معنى مجازي لم ينبّه عليه.

واضطراب الفرق بين الحقيقي والمجازي لدى فيشر هو الذي أوقعه في هذا، ودعاه إلى تتبّع شواهد الأخذ - على كثرتها - وتصنيفها بحسب المعاني التي تدلّ عليها هذه المادة، وإن كان ما رآه معنى جديداً هو في الحقيقة راجع إلى معنى أصليّ، لوجود صلة بينهما لم يستطع إدراكها.

وهذا المأخذ لحظه عبد القادر المغربي حينما قدّم فيشر تقريره إلى الجمع، قال عن ذلك: " والمؤلف - وإن أشار إلى أنّ من المعاني ما هو حقيقي وما هو مجازي - لكنه أهمّ التفرقة بين المعاني الحقيقية والمجازية إماماً يوقع القارئ في حيرة من تفهّم ما يقرأ ... ثمّ قال: ومن تأمل كلام المؤلف وجده في تصنيفه لمعاني (أخذ) قد أقام الاختلاف في الفاعل أو المفعول أو المتعلّق سبباً لجعل الفعل الواحد فعلين، واعتبار معناه معنيين⁽¹⁾.

وفي بحث المغربي وقف أمام كلّ معنى من الاثنين والثلاثين، وأبان عن المعنى الذي يدخل تحته، واستطاع أن يردّها إلى ثلاثة أقسام تندرج تحتها:

(1) معجم الدكتور أ. فيشر - وصنّه ونقده (مجلة الجمع العلمي العربيّ ج 4 - مجلد 24 ص 501، 504).

— قسم لشواهد المعنى الحقيقي، وهو إمساك الشيء والقبض عليه باليد ونحوها، وأدخل تحته المعاني التالية بأرقامها عند فيشر (1، 9، 13 بعض أمثله، 24-28، 30، 32)

— قسم لما جاء بمعنى الحيازة والاستيلاء والغلبة والقهر، وهو معظم كلمات الأخذ الواردة في لغة فصحاء العرب، وأدخل تحته المعاني التالية (2-8، 11، 13 بعض أمثله، 14-21، 31).

— قسم يجمع ضرورياً من المعاني تجوّزوا فيها عن معنى الاستيلاء والغلبة، لكنه تجوّز في غاية الخفاء واللطافة، وتدخل تحته بقية المعاني (10، 12، 22، 23، 29).
إن أخذ على فيشر خلطه بين الحقيقي والمجازي، فإننا ندرك عذره فيه، حيث يكتب بلغة لا تمت إلى لغته بصلة، ولعلمه بصعوبة إدراك المعاني والفرقة بينها سلك فيها مسلك المعجميين في لغته، حيث تُذكر المعاني مستقلة عن بعضها، لكنه نسي الفرق بين اللغتين، حيث تأتي المعاني — غالباً — في العربية متصلة بالمعنى الأصلي للمادة، وإن ظهر للناظر أنها معانٍ مستقلة.

وما فعله المغربي من ردّ تلك المعاني إلى ثلاثة أقسام تدرج تحتها، هو اجتهاد منه للإبانة عن رجوع كثير منها إلى معنى يجمعها، لكنه اجتهاد قابل للخطأ، فبعض ما جعله داخلاً تحت القسم الثاني هو من الثالث، لأنه مجاز، مثل المعنيين (18، 21)، وهو دليل على الصعوبة التي يقع فيها من أراد ردّ المعاني إلى أصولها، ولا عجب في اختلاف اثنين في ردّ معنى واحد إلى أصله، لأنه يتصل بقدرة الناظر في ملاحظة الدلالات الدقيقة المتعلقة به.

ولما أتبه إليه هنا وجوب عدم التكلّف في محاولة ردّ المعاني المتعدّدة إلى معنى واحد يجمعها، وإن أغفل أكثر المعجميين العرب التنبيه إلى الأصول التي تعود إليها المعاني، فإنه أخذ على ابن فارس تكلفه ذلك في كتابه (معجم مقاييس اللغة).

ولعلّ ناظراً لو نظر في معاني (أخذ) التي ذكرها فيشر لردّها إلى أكثر من ثلاثة أقسام، ومثل ما أخذ على فيشر مبالغته في تعديد المعاني أخذ على المعجميين العرب تقصيرهم في هذا الجانب، وتركهم ملاحظته للقارئ.

أما ما طُبع من معجم فيشر التاريخيّ فبالموازنة بينه وبين ما ذكره في تقريره المقدم إلى مجمع اللغة العربيّة - والذي سبقت دراسته - يظهر التقارب بينهما، فكلاهما سعيًا إلى معجم تاريخيّ للغة العربيّة، وبالاطّلاع على مقدّمة معجمه يتّضح لنا ذلك.

قال في مقدّمة معجمه واصفاً المعجم الذي يرى أنّ العربيّة محتاجة إليه، والذي كان معجمه تلبيةً لتلك الحاجة، قال: "ومنتهى الكمال لمعجم عصري أن يكون معجماً تاريخياً، ويجب أن يحوي المعجم التاريخيّ كلّ كلمة تُدوولت في اللغة، فإنّ جميع الكلمات المتداولّة في لغة ما لها حقوق متساوية فيها، وفي أن تُعرّض وتستوضح أطوارها التاريخيّة في معجماتها، ولكنّ المعجمات العربيّة بعيدة كلّ البعد عن وجهة النظر هذه، إذ إنّها لا تعالج الناحية التاريخيّة لمفردات اللغة، بل تقتصر على إيضاح الاتّجاه النموذجي لها، أعني أنّ مصنفها إنّما أرادوا التفرقة الدقيقة بين الفصيح من العربيّة وغير الفصيح، وذلك بوضع قانون للاستعمال الصحيح للكلمات، ويدلّ هذا الاتّجاه - دون شكّ - على إحساس لغويّ دقيق عند اللغويين، ولكنه عاق القوة الحيويّة الدافعة في اللغة عن التقدّم والتوسّع" ⁽¹⁾.

ويتّضح من قول فيشر السابق أنّه يرى المعجم المثالي هو المعجم التاريخيّ الذي يتّبع تطوّر دلالات الكلمة عبر العصور، دون أن تكون الفصاحة شرطاً لها، فهو يرى أنّ التفرقة بين الفصيح وغيره إعاقة للغة عن التقدّم، إلّا أنّه كان يدرك أنّ مراعاة فصاحة الكلمة له منافع في الحفاظ على اللغة.

(1) مقدمة فيشر ص 7.

أما ما دعا إليه في مقدّمة معجمه الخاصّ من عرض الألفاظ عند دراستها على وجهات النظر السبع: التاريخية والاشتقاقية والتنصريفية والتعبيرية والنحوية والبيانية والأسلوبية، فلم يدعُ إليه في تقريره الخاصّ بوضع المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية.

دراسة الجزء المطبوع:

تأتي هذه الدراسة مكملة لدراسة المقدّمة، فقد كانت تلك الدراسة للجانب النظريّ من المعجم، وتجيء هذه للجانب التطبيقيّ منه، مع أنّ الجزء المطبوع جاء في ثلاث وخمسين صفحة إلاّ أنّه كاف لإعطاء صورة مختصرة عن العمل. وفي هذا القسم حاولت جمع ما رأيت صلاحه لأنّ يكون مثلاً على أحد الجوانب في الدراسة، وجمعت تلك الأمثلة المفرقة في المعجم وضممت المترابط منها تحت موضوعات خاصّة تتعلّق بالمعجم العربيّ وقضاياها.

وأستعرض هنا أهمّ القضايا:

الإشارة إلى أصول الكلمات واللغات:

الغرض الأساس من المعجم التاريخيّ تتبّع التطوّرات الدلالية للكلمة في أقدم النصوص العربية المعروفة، ثمّ في النصوص التي جاءت بعدها، حتى آخر المرحلة الزمنية المحدّدة.

وبيان أصول الكلمة في لغات أخرى تنتسب إلى مجموعة لغوية، كاللغات السامية التي تنتسب إليها العربية لا شكّ أنّه مما يميّز المعجم التاريخيّ.

ولا شكّ في أنّ ذكر فيشر الأصول السامية لبعض الألفاظ مفيدٌ جداً في معرفة صلة العربية بأخواتها، ولما أعانه على معرفة تلك الأصول إجادته لعدد من اللغات السامية.

مع قصر النموذج المطبوع الذي ينتهي بـ (أبد)، ومع أنّه لا يعطي الصورة الحقيقة التي كان سيعطيها العمل لو قدّر له الفراغ منه، إلاّ أنّه لا يخلو من إشارات قيمة تدلّ على المستوى اللغويّ الذي كان سيبلغه، ومن تلك الإشارات ما يتعلق

بأصول الألفاظ، تظهر براعة اللغويّ بقدر إجادته اللغات الأجنبيةّة، ومن تلك الإشارات التي تدلّ على قدرة فيشر في هذا الجانب:

— إشارته إلى أنّ الأصل في النداء أنّ يلحق بالمنادى صوت a (آ)، وهذا الصوت إلى جانب صوت o (أو) يوجد في كثير من اللغات السامية في النداء، مثل: ياربّا، يا غلاما، يا أبتا، يا بنت عمّا، في العربية. ص 19

— إشارته إلى احتمال رجوع كلمة (أبّ) التي وقع الخلاف في معناها إلى (إبّا) من الآرامية، وهي ترجع إلى (إنبو) في اللغة الأكديّة. ص 26

— بعد ذكره الخلاف في أصالة نون (إبان) وزيادتها ذكر احتمال كونها — أي إبّان — أخذت من الآرامية كما أخذت منها (عدّان) بنفس الصيغة والمعنى. ص 27
بعد أن ذكر الأبجدية العربية ذكر أنّ الحروف ما عدا ستة منها، وهي (تخذ ضغط)، تقابل الحروف الهجائية للغتين العربية والآرامية، وتطابقها تماماً في الترتيب. ص 29

— قال عن (أبد): "قد يكون أصل الكلمة سامياً عامّة، ثمّ ذكر قرابتها من كلمات في بعض اللغات السامية. ص 32
الكلمات الأعجميّة:

كان لإجادة فيشر العديد من اللغات أنساميّة دور في إعادة الكلمات الأعجميّة المعرّبة إلى أصولها، وفي النماذج التالية ما يدلّ عليه:

— آذين: كلمة فارسيّة معناها في اللغة الفارسيّة "زينة، زخرف" و "عادة، رسم، قانون" ... ثمّ ذكر نصّاً للطبري فيه الكلمة.

— آزادمرّد، آزادمرّد: كلمة فارسيّة معناها في اللغة الفارسيّة "أصيل، حرّ" و ذكر نصين من الطبري والجاحظ.

— آسمانجويّ، آسمانجويّ: نسبة إلى آسمانجون معرّبة، وهي فارسيّة آسمان كون، وهي مركبة من آسمان "سما" وكون "لون" ومعناها "سماوي اللون مُزْرَق" ... ثمّ استشهد بعدة نصوص من عدّة كتب.

— آهندال: كلمة فارسيّة معرّبة مركبة من آهن: "حديد"، ودال: "شجرة".
— آين، آين: كلمة فارسيّة معرّبة، وتأتي في الفارسيّة بمعنى "عادة ورسم وقانون" كما تأتي بمعنى "زينة"، ثم ذكر معانيها في العربيّة وهي عديدة، واستشهد بنصوص لكلّ منها⁽¹⁾.

ونستخلص من الأمثلة السابقة أنّه سلك طريقة واحدة في دراسة الكلمات الأعجميّة تنتظم النقاط التالية:

- ذكر أصلها في اللغة الأعجميّة، نحو: فارسيّة، أو نحوها.
 - ذكر معناها في لغتها الأولى.
 - ذكر معناها في العربيّة بعد تعريبها إذا اكتسبت معاني أخرى.
 - نقل نصوصٍ تشتمل على الكلمة للاستشهاد بها مع ذكر مراجعها.
- مصادره:

ذكر فيشر في الجزء المطبوع من معجمه قائمة بالمصادر التي أخذ منها شواهده وتعليقاته، وسردها على الترتيب الأبجائيّ بذكر المختصر الذي يشير إلى المصدر في ثانيا المعجم، ثمّ بذكر اسمه كاملاً، وأحصيتها فبلغت (292) مصدراً، ومع كثرتها إلّا أنّها لا تعدّ شاملة لعصور العربيّة أو مواضعها أو ميادينها، فقد ذكر أنّه سيقف عند نهاية القرن الثالث الهجري، وهو تحديد لا يعني أنّه يرى عدم تدوين ما جاء بعد ذلك الزمن، بل إنه نبه إلى أنّ كلّ كلمة تُدوّن في اللغة لها حقّ التدوين، لكنّ تحديده القرن الثالث لغرض وضع حدّ زمنيّ لمعجمه لعدم تمكّنه من شموله جميع عصور

(1) معجم فيشر ص 20-22.

العربية، ويُلاحظ على قائمة مصادره أنه اختارها في جلّها من المصادر المجموعة التي حقّقها ونشرها المستشرقون دون غيرهم، لكونها المنتشرة في زمنه⁽¹⁾.
ولكثرة مصادره فلا حاجة إلى سردها ويمكن الرجوع إلى ما ذكرته سابقاً منها، سواء مصادره التي اعتمدها في معجمه، أو المصادر التي ذكرها في خطة المعجم التاريخي الكبير في الحديث عن أسس المعجم.

طريقته في إيراد المصادر:

سلك فيشر الطريق الأسهل في ذكره مصادره، فكان يذكرها في وسط الكلام، ولا يذكرها في الحاشية، ومن الأمثلة عليه:

ذكر أحد عشر مصدراً في أحد المواضع، مع رقم الصفحة والجزء إن كان ذا أجزاء، دون ما كرّر منها. ص 5

ذكر ثلاثة عشر مصدراً في أحد المواضع. ص 40، وأورد بعضاً منها لتُعرف طريقته:

" مسلم 1 / 72 / 18 مآي (ك 1 ب 45) في نار جهنم خالداً مخلداً، فيها أبداً - المقامات 1 / 239 / شرح ت: وفي الحديث: احرق لديك كأنتك تعيش أبداً - الطبري، تاريخ 1/1946/16: وإن البقية أبداً في الشدة... " ص 40

أما عن طريقته في الرجوع إلى المصادر في المعجم فتظهر من النظر في شرحه الكلمات، فبعد أن يذكر المعنى العربي للكلمة يُتبعه بشرح مختصر بالإنجليزية ثم بالفرنسية، ويكون الشرح المختصر باللغتين قبل ذكر الشواهد، ويرمز إلى الشواهد بحرف (ش)، ثم يذكر الشواهد بمصادرها على إحدى الطرق التالية:
— يذكر المعنى، ثم يذكر المصدر وينقل منه شرح المعنى، مثل:

(1) ينظر: تاريخ المعجم التاريخي العربي في نطاق العربية: المبادرات الرائدة - أ. د. محمد رشاد الحمزاوي (26/6-5)

أ- ذكر من معاني (أبدَ):

الدهر الطويل غير المحدود، الراغب، المفردات في غريب القرآن "أبد":
الأبد: عبارة عن مدة من الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان، وذلك أنه
يقال: زمان كذا، ولا يقال: أبد كذا". ص 37

ب- أَيْد: نبات. المخصَّص 3/63/11 - والأَيْد: نبات مثل زرع الشعير
سواءً، وله سنبله كسنبله الدخنة، فيها حبّ صغير أصغر من الخردل أصيفر، وهو
مَسْمَنَة للمال جدًّا، - ل 9/36/4: والأَيْد: نبات مثل زرع الشعير سواءً الخ... ثم
نقل عن القاموس ثم التاج ... ص 52

— يذكر المعنى، ثم يذكر المصدر، وينقل منه شواهد على المعنى، مثل:

أ- أوابد الكلام: غرائب.

ش. الأنباري في شرح المفضليات 5/179، 7/188، 12/287، 1/862: ومنه
قولهم: جاء فلان بآبدة، أي بكلمة غريبة وحشية لا تُعرف، الميداني 18/86/1: منه
قول الناس: أتى فلان في كلامه بآبدة، أي بكلمة وحشية. ص 49

ب- ذكر أحد معاني (تأبد): تأبد وحش أو ناس: عاش في القفار.

ش. البحترى 13/210: وحشٌ تأبد في تلك الطلول

أمية 20/63:

ربّ الأنام وربّ من يتأبد [أي ربّ الوحوش]... الخ الشواهد. ص 36

— يذكر اللفظ ومعناه والمصدر دون أيّ نقل:

ويكون ذلك إذا لم يعثر على شواهد لمعنى أو تعبير أو كلمة وردت في المعجم
العربيّة فيكتفي بذكر المعجم⁽¹⁾، ومن الأمثلة عليه:

(1) ذكر هذا الأمر في مقدمته ص 26.

- أ- " الأبد: الولد الذي أتت عليه سنة، القاموس " أبد " . ص 43
- ب- " تأبّد الوجه: كَلَفَ وَنَمَشَ، الجمل والقاموس والتاج " أبد " . ص 37.
- ج- " إبل أبائي: بروك شباع، القاموس " أبت " . ص 28
- د- " مُؤَبَّدَةٌ: سقاء يُملأ لبناً ويُترك فينتفخ، القاموس " أبت " . ص 29
- المعنى الحقيقي والجازي:
- من أساليب ترتيب المادّة لدى فيشر أن تُقدّم المعاني الحقيقيّة على المجازيّة، لكون الحقيقي هو الأصل، ومن الأمثلة عليه ما يلي:
- في مادّة (أْبَدَ) ذكر له ثلاثة معان:
- (1- أ) أْبَدَتِ البهيمة تَأْبَدُ وتَأْبِدُ أَبوداً — وكذا تَأْبَدَتِ: توحّشت ونفرت ...
- (1- ب) من الجاز: أْبَدَ الشاعر يَأْبِدُ أَبوداً، وكذا أْبَدَ: أتى في شعره بأوابد، وهي غرائب لا يُعرف معناها على بادئ الرأي ...
- (2) أْبَدَ بالمكان ...: أقام به ولم يبرحه. ص 33
- يظهر هنا تقديمه المعنى الحقيقي على الجازي، ثمّ مجيء الجازي بعد المعنى الأوّل الذي أخذ منه، وجاء بعده المعنى الحقيقي الثاني.
- ذكر من معاني (تَأْبَدَ):
- (2- أ) تَأْبَدَ وحشٌ أو ناسٌ: عاش في القفار ...
- (2- ب) ومن الجاز: تَأْبَدَ بمعنى تعزّب وتبتّل عن النساء. ص 36
- ذكر معني (أبو جاد):
- (1) ذكر أنّها صيغة أخرى لـ (أبجد) مع التصرّف فيها عند العرب ...
- (2) ذكر المعنى الجازي، وهو مجيئها بمعنى مبادئ التعليم المدرسي ...
- ص 30-32
- ذكر معاني (مُؤَبَّدَ) وهي أربعة:
- ذكر المعنيين الحقيقيين وهما:
- (1) مُؤَبَّدَ: مُخَلَّدَ ...

(2) ناقة مُؤبّدة: وحشية معتاصة ...

ومعنيين مجازيين هما:

(3) مؤبّد: للشعر الغريب ...

(4) مؤبّد: للشعر الأغرّ ... ص 53

تنوع مادّة المعجم:

اشتملت المادّة - لما اشتملت عليه - على عدد من أنواع المسائل:

- المسائل اللغويّة، ومنها:

- ترتيب حرف الألف في الحروف الهجائيّة، والإشارة إلى ترتيبات أخرى للحروف، ووجوده في اللغات الكنعانيّة الآراميّة والعبريّة والسريانيّة واليونانيّة واللغات التي أخذت أجدديتها عن اليونانيّة، وكذا أشار إلى اسمه في تلك اللغات للتدليل على تقارب هذه الأسماء. ص 1

- تحت (أجد) تحدّث بتوسّع عن ترتيب الحروف الهجائيّة على الترتيب الأبجدي عند المشاركة والمغاربة، وتطابق أكثر الحروف العربيّة في الترتيب مع حروف اللغتين العبريّة والآراميّة، وحديثه عن أصل الخط العربيّ، والترتيب الألفبائيّ المعروف بناءً على تقارب الحروف في الرسم، واختلاف ترتيب المشاركة عن ترتيب المغاربة بعض الاختلاف، وكذا ترتيب الحروف على مخارجها، وهو ترتيب معجم العين. ص

30-29

- ذكر نوعي الألف: المتحركة والساكنة اللينة، ومخرجيهما وآراء العلماء

العرب فيهما، والعلاقة بينهما، والعديد من القضايا المتصلة بهما. ص 2-3

- المسائل النحويّة، ومنها:

- تحدّث عن ألف الاستفهام ووجودها في الحروف الساميّة القديمة.

وذكر موقعها في الجملة، وما يأتي بعدها من حروف العطف، وما يحذف معها، كألف الوصل، وما يذكر معها كألف حرف التعريف ونحوها، سواءً ببقائها أو تليينها، وتلين همزة القطع بعدها، مع حشد من الشواهد القرآنية وغيرها. ص 5-6

- فصل الحديث عن أنواع الاستفهام بالألف، وأكثر من الشواهد كثيرة جلية، مع تفصيله فيما يتعلق بالاستفهام من قضايا، وذكر مصادر عديدة. ص 7-14

- أورد مجيء همزة حرف قسم واستشهد عليه بشواهد كثيرة. ص 15

- أورد مجيء همزة حرف نداء، وأنواع النداء بالهمزة وغيرها، وفصل الحديث عنها، واستشهد بنصوص كثيرة عن قضايا في النداء لا يستدعيها المقام. ص 16-20

شواهد:

الاستشهاد ركن من أركان معجم فيشر؛ ذلك لأنه قائم على أخذ اللغة من المصادر الأولى للنصوص، وكان - في أغلب حالاته - يميل إلى جمع كثير من الشواهد للكلمة، بل إنه يلجأ إلى استقصاء جميع شواهد الكلمة - كما ذكر ذلك - عندما يكون الحديث عن صيغ نادرة.

ومن الأمثلة على إكثاره من الشواهد ما يلي:

- أورد مجيء همزة حرف قسم كالواو، ثم استشهد لها بما يلي:

آية واحدة، وثلاثة عشر قولاً متنوعة من أقوال مفسرين ومؤرخين ولغويين ونحوهم.

وستة عشر مصدراً لتوثيق ما نقل. ص 15-16

- أورد (إبان) وفسرها بالوقت والحين، وأورد شواهدا وهي كما يلي:

أورد حديثين، وأربعة أبيات، وأربعة أقوال مختلفة.

وتسعة مصادر لتوثيق ما نقل. ص 27

- أورد مجيء (أبدأ) في الكلام الموجب، واستشهد لها بما يلي:

ثلاث آيات، وحديثين، وسبعة أبيات، وأربعة أقوال مختلفة.

وثلاثة عشر مصدراً لتوثيق ما نقل. ص 39-40

أما عن طريقته في الاستشهاد فبذكر الكلمة وشرحها، أو القاعدة أولاً ثم الشاهد ثانياً، وابتدئ استشهاده بحرف (ش) للدلالة على الشاهد أو الشواهد. وشواهدة هي الشواهد التي استعملها اللغويون في كتبهم، وفيما يلي أنواعها وأمثلة عليها:

القرآن الكريم:

استشهد بآيات من القرآن في مواضع كثيرة، وطريقته - غالباً - بالرمز إلى القرآن بحرف (ق)، وبعده رقمان: الأول للسورة، والثاني للآية:

— قال: وأما التركيب (أتم) فقد ورد مرة فقط في القرآن: " أتم إذا [ما]

وقع آمنتم " (51/10) ص 5

— استشهد على إتيان التويخ في الجمل المنفية، ق 59/12: " ألا ترون أنني

أوفي الكيل "، 62/36: " أفلم تكونوا تعقلون ". ص 9

— استشهد على حذف حرف النداء في المضاف: ق 260/2: " رب أرني "،

114/5: " ربنا أنزل علينا مائدة "، 101/12: " فاطر السموات والأرض ". ص 20

الحديث:

أولى الحديث أهمية كبيرة من بين شواهد، وطريقته أن يذكر كتاب الحديث

أولاً، والأرقام التي تدل على موقعه من الكتاب، ثم يستشهد بالجزء الذي فيه الشاهد اختصاراً، ومن الأمثلة عليه:

— استشهد على جواب الاستفهام الحقيقي بالهمزة بنعم أو لا أو بل أو غيرها

بحديث البخاري: " أفلا تتكل يا رسول الله ؟ قال: لا اعملوا... " وذكر بعده عدة

أحاديث. ص 7

— استشهد على حذف همزة الاستفهام بحديث البخاري: "... تعلم من

تخاطب منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة ؟ قال: لا ... ". ص 13

— استشهد على (آبدة) مفرد (أوبد) للوحوش بجزء من حديث أم زرع: " فأراح عليّ من كلّ سائمة زوجين، ومن كلّ آبدة اثنتين " . ص 46
الشعر:

جاء حظ الشعر وافراً من بين الشواهد، فأورد أبياتاً كثيرة في المطبوع وهو صغير، وطريقته أن يذكر اسم الشاعر ورقمين، الأول لرقم القصيدة في الديوان، والثاني لرقم البيت، مثل قوله عند الشاهد الأوّل: ذو الرمة، رقم 3/1.
ومن الأمثلة عليه ما يلي:

— استشهد على حذف ألف الوصل بعد الهمزة بقول ذي الرمة:

أستحدث الركبُ عن أشياءهم خبراً ؟ ص 5

— استشهد على المنادى المنصوب بقول عبد يغوث: ص 17

فيا راكباً إماً عرضت فبلغنُ

— استشهد على مجيء (تأبّد) بمعنى: تعزّب أي لا يقرب النساء بقول

الأعشى:

ولا تقربنّ جارةً إنّ سرّها * عليك حرامٌ فائكحنّ أو تأبدا ص 36

النثر:

استشهد بنصوص نثرية من شتى الكتب، ككتب التاريخ والأدب وغيرها، ولا شك أنّ نصيب هذا النوع من الشواهد أقلّ لكونه ليس من الأنواع الشائعة كالقرآن والحديث والشعر والأمثال وغيرها، وفي هذا النوع يتّيز منهج فيشر وأمثاله ممن يريد الرجوع إلى النصوص التي دونت في أيّ عصر من عصور اللغة، ذلك لأنّ اللغويين القدماء اقتصروا على الاستشهاد بنصوص عصور الاحتجاج، وهو ما لم يتّح لهم الاستشهاد بكتب التاريخ والرحلات ونحوها من الكتب التي رجع إليها فيشر، لأنّها دونت بعد عصر الاستشهاد، أمّا فيشر فأتّسعت دائرة نصوص الاستشهاد لديه بحيث إنه ساوى بين الشعر والنثر في الأهمية.

من الأمثلة على شواهد النثر ما يلي:

♦ استشهد على الاستفهام التوبيخي بنصّ من الأغاني وهو: "...أزناً وزنجية
؟ لا والله لا أفعل". ص 8

— استشهد على (آذين) الفارسية بنصّ من تاريخ الطبري وهو: "... هينوا
الهرمزان في هيئته، ووضعوا على رأسه تاجاً يدعى الآذين مكللاً بالياقوت". ص 21
— استشهد بنصّ من كتاب الصولي (أدب الكتاب) على (أبو جاد)
وهو: "وقد أعرب الناس أبا جاد وسعفصاً، فقال معاذ الهراء - يخاطب رجلاً عاب
النحو والعربية -...". ص 32
الأمثال والأقوال:

اعتنى فيشر بهذا النوع من الشواهد فورد في المطبوع - على صغره - عدد
من الأمثال والأقوال، منها:

— استشهد من المفصل وابن يعيش بالمثل: "لا عباب ولا أباب". ص 24
— استشهد بالمثلين من مجمع الأمثال للميداني: "طال الأبد على كُبد"، "خير
ليلة بالأبد بين الزباني والأسد". ص 38

— استشهد من لسان العرب بالقول: "جاء فلان بآبدية" أي بداهية يبقى
ذكرها على الأبد. ص 40

— من مجمع الأمثال ورد المثل: "إن لم تغضّ على القذى لم ترض أبدا".
ص 41

— نقل من لسان العرب: "ومن الأبديات قولهم: لا آتيك ما بلّ بحر صوفة،
وحكى اللحياني: ما بلّ البحر صوفة". ص 44

— استشهد من مجمع الأمثال بالمثل: "بمثلي تطرد الأوابد". ص 46
اتضح مما سبق عناية فيشر بالاستشهاد لأنّ نظريته في المعجم قائمة على الأخذ
من المصادر الأصيلة، أي الكتب التي حوت النصوص لا من المعاجم، ومع صغر
القسم المطبوع فهو يدلّ دلالة واضحة على اعتماد عمل فيشر على الاستشهاد.

اختياراته وترجيحاته:

تميز فيشر بالقدرة العلمية على البحث وترجيح الآراء التي فيها خلاف،
ووصوله إلى هذا القدر دليل على استيعابه وفهمه العربية - في جانبها المقروء -
كأحد أبنائها، ومن الأمثلة عليه:

— ذكر أن همزة النداء لم ترد في القرآن، ثم قال: "وقد يتعذر علينا أن نوافق
الفراء الذي ذهب في تفسير الآية 9/39: "أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ أَنَاءَ اللَّيْلِ" - التي قرأ
بعض القراء فيها: أَمَّنْ بدلاً من أَمَّنْ - إلى أن همزة أَمَّنْ حرف نداء"، وكأته هنا
يرجح بقاء الهمزة في الآية همزة استفهام في القراءتين. ص 16

— تفسيره ما في الطبري وهو: "ووضعوا على رأسه تاجاً يدعى الآذين مكدلاً
بالياقوت" ثم قال: "ومعناها هنا على الأرجح "زينة". ص 21
— ترجيحه رواية (لآبِك) على (لآبُك) بقوله بعد ذكر الروایتين
وأصحابهما: "وأفضل هذه الرواية" ص 24

— قال بعد أن ذكر (الأب) في مواضع: "ومن الأرجح أن (أب) في كل
هذه المواضع ترجع إلى (أب) التي وردت في ق [أي القرآن]، ولعلها أخذت كما
أخذت كلمة * אֵב (إيب 'ēb)، אֵב (إيو 'ibbō) العبرية المتأخرة، من اللغة
الأرامية، يعني من كلمة אֵב (إبا 'ibbā) (إبا 'ebbā) אֵב (إبا 'inbā)
ومعناها ثمر وفاكهة، وهذه الصيغ ترجع حسب الظاهر إلى (enbu , inbu إنبو)
بنفس المعنى في اللغة الأكديّة"⁽¹⁾. ص 26

(1) كتب فيشر الكلمات السامية بحروفها الأصلية، ثم بالحروف اللاتينية، وقد حاولت كتابتها بحروفها
الأصلية كما كتبها راجياً ألا أكون أخطأت فيها، ثم كتبتها بالحروف اللاتينية.

— بعد ذكره الخلاف في زيادة نون إبان وأصالتها قال: "يحتمل أن كلمة (إبان) أخذت من الآرامية كما أخذت منها (عدان) بنفس الصيغة والمعنى".
ص 27

— تحدّث عن الأبجدية العربية ومال إلى أن العرب أخذوا الخطّ عن الساميين الشماليين وخاصة الأنباط، وذكر أن الحروف العربية تقابل حروف اللغتين العبرية والآرامية عدا ستة حروف هي (ثخذ، ضظغ) ". ص 29-30
— توقعه أن يكون أصل (أبد) سامياً، وذكر قرابتها بعدد من الكلمات في بعض اللغات السامية. ص 32

— نقل عن المعاجم السمين لنبات (أييد) و (أييد)، فمنهم من ذكر الأول، ومنهم من ذكر الثاني، ونقل عن بعضهم أن (أييد) تصحيف، لكن فيشر أكد أن الصيغة الصحيحة هي (أييد)، واستدلّ بأقوال بعض الرحّالة والباحثين الغربيين، حيث ذكره فورسكال Forskal بهذه الصيغة، كذا فليبي Philby، ونقل عن المستشرق السويسري هس Hess أنه نقله عن عتيبيّ بهذه الصيغة. ص 52
وفي النماذج السابقة ما يعطي دليلاً على قدرة فيشر على الترجيح.

دراسة نموذج كامل:

من تمام الدراسة اختيار نموذج لإعطاء تصوّر واضح عن عمل فيشر، بعد دراسة أمثلة متفرقة في نماذج متعددة.
اخترت حرف الألف لدراسة ما ورد فيه، لكونه يعطي صورة مختصرة تشتمل على جزء بصورته التي بناها عليه المؤلف.

عرضٌ مختصرٌ لحرف الألف⁽¹⁾:

آثرت دراسة أول الكتاب وهو شرحه حرف (الألف) لتفصيله الحديث فيه، ولاشتماله على كثير من ملامح منهجه، وسأعرض عرضاً مختصراً لما ورد في الكتاب، مع التعليق عند الحاجة:

أولاً: ذكر ترتيب الألف بين الحروف العربية في المشرق والمغرب، وهو الترتيب الأول.

ثانياً: موقع الألف - وهو الأول - في الحروف الهجائية للغات الكنعانية الآرامية، كما تدلّ عليه اللغة العربية والسريانية، وكذلك اليونانية المرتبطة بالكنعانية، وكلّ اللغات التي أخذت أبجديتها عن اليونانية.

ثالثاً: تسميته بـ (الألف) ترجع إلى تسميته في اللغات الآرامية والعبرية والسريانية والأثيوبية واليونانية، فهي أسماء متقاربة في النطق، ذكرها بنطقها.

رابعاً: أطال كثيراً في ذكر تفصيلات عن حرف الألف، تفصيلات تدخل في علم النحو وعلم الأصوات، ويذهب كثير من اللغويين إلى أنّ مثل هذه القضايا لا مكان لها في معجم لغويّ يُعنى بشرح الكلمة باختصار بحسب غرض المعجم، ولكن عند الرجوع إلى هدف فيشر من معجمه وهو أنّ يكون تاريخياً، فإننا نجد العذر له في كونه أراد لمعجمه أن يكون شاملاً ما يتعلق بالكلمة من جميع النواحي السبع التي ذكرها (التاريخيّة والاشتقاقية والتصريفية والتعبيرية والنحوية والبيانية والأسلوبية)، ومن التفصيلات التي أوردها ما يلي:

أ- نوعا الألف:

الأول: المتحركة - التي تكتب مع همزة - ومخرجهها من لسان المزمار، أي من الحلق، وذكر أنّ هذا رأي فقهاء اللغة العرب.

(1) ينظر معجم فيشر ص 1-20.

الثاني: الساكنة اللينة - التي تكتب ألفاً ممدودة أو مقصورة - عرفها بأنها علامة مد لحركة الفتح، وذكر أنها من حروف المد وحروف اللين والعلة، وذكر أنها مجهورة ومن حروف الزيادة.

ذهب إلى أن المتحركة أقدم من الساكنة التي كتبت فيما بعد، وعلاقتها بها كعلاقة الواو والياء المتحركتين.

ذكر أن المبرد أخطأ في عدم ذكره الألف من حروف المعجم حيث أسقطها لعدم ثباتها على صورة واحدة.

ذكر نوعي الألف وهما: ألف القطع وألف الوصل.

ب- خصّ ألف الاستفهام بحديث ذكر فيه ما يلي:

1- حرف من الحروف السامية القديمة، وذكر مقابله في العبرية، وأشار إلى وجوده في كلّ اللهجات الآرامية اليهودية.

2- موقعها في أول الجملة الاسمية، ومجيئها قبل حروف العطف (و، ف، ثم)، وذكر شواهد من القرآن الكريم والشعر والنثر.

3- حذف ألف الوصل بعد همزة الاستفهام، وذكر شواهد من القرآن والشعر والنثر.

4- تليين همزي الوصل والقطع بعد همزة الاستفهام، وذكر شواهدهما.

5- نوعا الاستفهام اللذان تعبّر عنهما ألف الاستفهام:

أ- استفهام حقيقي، وذكر شواهد.

ب- استفهام بياني - وهو ليس استفهاماً حقيقياً، وإنما إخبار - وذكر

حالاته:

- للتوبيخ والتقريع، ويكون للجملة معنى موجب، على أن لها معنى مقدراً يُراد به عكس منطوقها.

- توبيخي للإنكار، وتكون الجملة للتقرير، أي ليس بها نفي.

- للتهكم والاستهزاء.
- للتعجيب والتشويق إلى استماع ما بعده.
- للأمر أو العرض أو التحضيض.
- التوبيخ والإنكار الاستفهاميان في صيغة المضارع المرفوع المنفي.
- وذكر الزيادات الصوتية التي تلحق آخر الاستفهام الإنكاري مثل: أزيدنيه، أعمروه، وقد فصل الحديث فيه وذكر شواهد عديدة.
- خامساً: حذف حرف الاستفهام مع بقاء الاستفهام ونغمته، مع ذكر شواهد.
- ذكر الفرق بين الاستفهام غير المعمول فيه والاستفهام المعمول فيه في أهم اللغات الغربية، أما العربية فلا وجود للاستفهام المعمول فيه حيث إنّ ألف الاستفهام تمنع أن يعمل ما قبلها فيما بعدها.
- سادساً: ذكر نوعين آخرين للهمزة وشرحهما بالتفصيل، وهما:
- أ- حرف القسم (أ).
- ب- حرف النداء (أ).
- وفصل القول فيهما واستشهد لهما.
- إنّ هذا النموذج يعطي صورة تقريبية عن معجم فيشر الذي كان يسعى إلى إنجازه، وهو وإن لم يكن مماثلاً في المادة لبقية المعجم، إلاّ أنّه يقدم خير مثال على المعجم المراد، مع عدم خلوه من ماخذ، ككثرة القضايا النحوية فيه مثل كثرة أنواع الهمزة، وتفصيل فيشر الحديث عنها، ولو قدر لأجزاء أخرى الظهور لأعطت صورة أكثر وضوحاً.
- لأهمية هذا المعجم آثرت إجراء موازنة بينه وبين المعجم الكبير الذي يصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فلاحتمال تأثره بمعجم فيشر؛ لكون فيشر وضع خطة للمعجم التاريخي الكبير وقدمها إلى المجمع، للاحتمال تأثره به تأتي أهمية الموازنة بينهما لإبراز جوانب الشبه إن وجدت.
- موازنة بين معجم فيشر والمعجم الكبير:

من المعلوم أنّ فيشر وضع خطةً للمعجم الكبير، قدّمها إلى مجمع اللغة العربيّة مع نموذجٍ من معاني مادّة (أخذ)، ومضى زمنٌ طويلٌ بعد موت فيشر عام 1949م وانقطاع العمل في معجمه، ثمّ ظهر الجزء الأوّل من المعجم الكبير عام 1970م، أي بعد موت فيشر بإحدى وعشرين سنة.

وكان فيشر أهدى جذادات معجمه إلى المجمع للاستفادة منها في صنع المعجم الكبير والمعاجم الأخرى.

ويحقّ لنا التساؤل عن الشبه بين المعجمين، وما أثر فيشر في المعجم الكبير؟ أسئلةٌ عديدةٌ تبرز عند ذكر المعجمين، ولكي تتضح لنا الصورة المطلوبة سأوازن بين بداية كلّ منهما لمعرفة وجوه الاتفاق والاختلاف بينهما.

وقد يجدر التنبيه إليه هنا أنّ المعجم الكبير لم يُرد به المجمعُ أن يكون المعجم التاريخي الذي كان المجمع يسعى إلى صنعه، وإنما جعلوه تلبيةً للحاجة الملحة إليه، مع عدم تمكّنهم من إخراج معجم فيشر لنقصه، وعدم تمكّنهم من إخراج المعجم التاريخي المنتظر لأنه يحتاج إلى أعمال تمهيدية لم يبدأ بها بعد⁽¹⁾، والموازنة بين المعجمين مفيدة في معرفة وجوه الشبه بينهما.

المعجم الكبير⁽²⁾:

فيما سبق من الأوراق عرض مختصر عن حرف الهمزة في معجم فيشر، ولكي تتضح وجوه التشابه والاختلاف بين المعجمين أعرض بداية المعجم الكبير عن حرف الهمزة لنلاحظ العلاقة بينهما:

(1) ينظر تصدير د. إبراهيم مذكور للطبعة الأولى للمعجم الوسيط ص 8 (ط الثانية - دار الدعوة - إستنبول - تركيا 1406هـ - 1986م).

(2) المعجم الكبير طبع الجزء الأوّل بمطبعة دار الكتب عام 1970م، ويبدأ حرف الهمزة فيه من ص 3.

بدأ واضعو المعجم بحرف الهمزة وذكروا أن المبرّد لا يعدّها في الحروف لعدم التزام صورة لها، حيث تكتب ألفاً وواواً وياءً، بحسب موقعها، ورجّحوا أنّها من حروف الهجاء لثبوتها في النطق، أمّا تغيّر صورتها فبسبب تخفيفها.

وذكروا عدّة مسائل عن الهمزة أهمّها:

— وقوعها في أوّل الكلمة ووسطها وآخرها.

— القدماء عدّوها مجهورة تخرج من أقصى الحلق، وعدّها بعض المحدثين

مهموسة شديدة تخرج من الحنجرة.

— ذكروا قسميها للوصل والقطع، مع الفرق بينهما.

— ذكروا أقسامها: الأصليّة والزائدة والمبدلة من ألف زائدة، وذكروا إبدال

الهمزة هاءً عند بعض العرب.

— مجيئها لنداء القريب، والاستفهام، وتأتي للاستفهام مع كونها عوضاً من

حرف القسم مثل: الله أكرمت أخي؟.

— الهمزة الممدودة تأتي لنداء البعيد أو القريب على قولين.

حينما نوازن بين ما كتبه فيشر في بداية معجمه، وما جاء هنا في المعجم الكبير

نجد الفرق كبيراً، ففيشر أطال كثيراً في حرف الألف وأقسامه — سبق ذكر ذلك في

العرض السابق قبل هذه الموازنة — أمّا الكبير ففيه اختصار واقتصار على مسائل

أساسية.

المداخل في المعجمين:

بلغت مداخل فيشر للمبدوء بهمزة ممدودة اثني عشر مدخلاً، كما يلي:

ستة لعدد من الأدوات والأصوات، هي: (آ) حرف الاستفهام، (آ) حرف

النداء، (آء) وأحال فيها إلى مادة ليست في المطبوع، ومثلها المداخل التالية دون

تفسيرها، (آح)، (آه، آه، آه، آه) في مدخل واحد، ثمّ (آي) .

وستة لكلمات أعجمية معرّبة، لكنّها وردت عند العرب القدماء، وأورد عليها

نصوصاً من كتب عربية متقدّمة، منها اثنان لنباتين، وأربعة لمعان عامّة.

وبلغت مداخل المعجم الكبير لما بُدئ بهمزة ممدودة ثلاثة وستين مدخلاً على النحو التالي:

- ستة وعشرون مدخلاً لكلمات معرّبة، وباقيها عربيّة، وجميع المداخل - بالمعرب والعربيّ - تقع تحت أنواع مختلفة:
- ثلاثة عشر مدخلاً لأعلام أشخاص.
- ثلاثة عشر مدخلاً لأعلام مواضع.
- ستة مداخل لنباتات.
- وبقيتها لموادّ لغويّة أخرى.

يتّضح ممّا سبق الاختلاف في العدد بين المعجمين، وهو دليل على تفوّق المعجم الكبير في الحجم على معجم فيشر، لكنّ أكثر المداخل في المعجم الكبير لا تدخل - عند كثير من الباحثين - في الموادّ اللغويّة ولا يحتاج إليها المعجم كأعلام الأشخاص والمواضع وأسماء النباتات.

ويتميّز معجم فيشر بمنهجه التاريخيّ في تتبّع الكلمة في النصوص الواردة في مصادره لتتّضح تطوّرات المعنى.

أمّا المعجم الكبير فلا يعنى بهذا الجانب، ولذا فشاهد فيشر منها آيات قرآنيّة وأحاديث وشعر ونصوص نثرية من كتب أدبيّة وتاريخيّة وغيرها، أمّا شواهد المعجم الكبير فتقتصر على القرآن والحديث والشعر والأمثال، أمّا النصوص النثرية فلا وجود يُذكر لها، لعدم عنايته بتتبع المعنى.

الأعلام في المعجمين:

وأعني بالأعلام أعلام الأشخاص والمواضع وما يشابهها.

أمّا معجم فيشر فلا نكاد نلاحظ إكثاره منها، أمّا المعجم الكبير فبالغ واضعوه في تعديد الأعلام، وسبق بيان عدد أعلام الأشخاص والمواضع في الهمزة الممدودة، وهو ستة وعشرون علماً، وممّا يلاحظ عليه إيراد أعلاماً أعجميّة مثل:

آدم سميث: فيلسوف اقتصادي اسكتلندي.
فهو شخص غربي لا مكان له هنا.
آريوس: صاحب نحلة (عام 336).
فهو أعجمي قبل العربية، ولم يُستعمل فيها.
آريوسية: اسم النحلة ... ولم يبق لها أثر بعد القرن الرابع الميلادي.
ما الحاجة إلى ذكرها هنا ما دامت لم تنتقل إلى العربية، ومكانها في موسوعات
الأعلام.

الآري: في السنسكريتية آريا ...: النيل العريق: ذكروا أنه أطلق في الهند قبل
الميلاد على الطبقات الرئيسة الثلاث ...
ويتضح أن الكلمة لا صلة لها بالعربية لأن معناها خاص بمعنى أعجمي.
وسأستعرض هنا مادة (أبد) بمشتقاتها في المعجمين، لتكون الموازنة في مادة
محددة:

مادة (أبد):

أَبَدَ: اتَّفَقَا فِي ذِكْرِ مَعَانِيهِ الثَّلَاثَةِ: التَّوَحُّشَ، وَالْإِقَامَةَ وَطُولَ الْمُدَّةِ، وَالْإِغْرَابَ.
أَبَدَ: اتَّفَقَا فِي ذِكْرِ مَعْنِيهِ: التَّوَحُّشَ، وَالْغَضَبَ.
أَبَدَ: اتَّفَقَا فِي ذِكْرِ أَرْبَعَةِ مَعَانٍ: تَنْفِيرَ الدَّابَّةِ، مَجِيءَ الرَّجْلِ بِأَبْدَةٍ، وَهِيَ الْأَمْرُ
الْعَظِيمُ، وَالْإِغْرَابَ، وَتَخْلِيدَ الشَّيْءِ.

وزاد الكبير معنى هو: التَّوَحُّشَ لِلْحَيَوَانَ ... 25/1
تَأَبَّدَ: اتَّفَقَا فِي ذِكْرِ أَرْبَعَةِ مَعَانٍ: أَقْفَرَ الْمَتْرَلَ وَرَعْتَهُ الْأَوَابِدَ، عَاشَ فِي الْقَفَارِ
(لِلنَّاسِ وَالْبَهَائِمِ)، تَعَزَّبَ وَقَلَّ إِرْبَهُ فِي النِّسَاءِ، كَلَّفَ وَنَمَشَ الْوَجْهَ.
وزاد الكبير: طَالَ الزَّمَانَ وَامْتَدَّ. 26/1
اتَّفَقَا فِي تَرْتِيبِ الْمَشْتَقَاتِ السَّابِقَةِ، ثُمَّ اخْتَلَفَا بَعْدَهَا، وَسَأُورِدُ الْبَقِيَّةَ عَلَى تَرْتِيبِ
فِيَشْرَ مَعَ ذِكْرِ مَا فِي الْكَبِيرِ:

إبْد: أحال على (إبْد) وفي موضعها ذكر (أبْد و إبْد) لغتين فيها، وكذا الكبير، ذكر فيشر معنى الكلمات الثلاث للأمة والفرس والناقة بمعنى ولود ضائنة، أي تلد كل عام، وذكر لـ (أبْد) وحدها المعاني التالية: حمار الوحش المستنفر، الرجل المتوحش، المنزل القفر.

أما الكبير ففسر (الإبْد) و (والإبْد) بـ (الأبد) 29/1، ولكنه لم يفسر (الأبد) ولم يجعل له مدخلاً.

أبْد: اتفقا على ثلاثة معانٍ: الدهر مطلقاً، الدهر الطويل غير المحدود، الولد الذي أتت عليه سنة.

وزاد فيشر معنى رابعاً هو: ذو (ذات) أبْد أي دائم (دائمة) نقلاً عن لين، واستشهد بقول عبيد بن عمير: " الدنيا أمد، والآخرة أبْد " وفسر (أبْد) بذات أبْد، وهو تفسير غير صحيح، فالمعنى دلالة على الدهر الطويل غير المحدود، ولا حاجة إلى وضع معنى جديد لها، فتفسيره لها بالدوام داخل في دلالتها على الدهر الطويل غير المحدود.

أبْد، إبْد: سبق ذكرهما مع (إبْد).

إبْدَة، أبْدَة: أحال على (إبْد)، وهو أراد به ما سبق، أي أنثى (إبْد وأبْد).
أبْدِيّ: فسره فيشر ص 44 بـ: دائم لا ينقطع، ولم يذكره الكبير لأنه صيغة قياسية، فهو نسبة إلى (أبْد)، وهو الدهر الطويل غير المحدود، فلا حاجة إلى فصله بمدخل، ولعل ما دعاه كوئيه أصبح كالمصطلح، فذكر أنه كثيراً ما يرد في كتب علماء الدين والفلاسفة المتأخرين.

أبْدِيَّة: ذكر فيشر لها معنيين: ديمومة لا تنقطع، الأبديّات، وهو جمع: اصطلاح لأقوال سائرة تعبّر عن معنى (أبداً).

أما الكبير فجعل المعنى الأوّل تحت المفرد في مدخل خاصّ، وجعل الجمع في مدخل آخر بتفسيره. 29/1

آبد: ذكرها فيشر اسم فاعل للفعل (آبد)، وعدد المعاني، وهي داخله في معنى اسم الفاعل، وهو قياسي فلا حاجة إلى جعله مستقلاً، وكان الأولى ذكره مع فعله، وأطال في ذكر شواهدا.

والمعنى الأخير الذي ذكر لـ (آبد): ممتاز، واستشهد عليه بشواهد، وهذا المعنى ليس جديداً، وإنما هو داخل في معنى: غريب لا ممتاز.

أيبد: أحال إلى (آبد)، حيث وردت (أيبد) لتوكيد (آبد).

أبود: وحشي، مبالغة (آبد)، واستشهد له، ولم يذكره الكبير.

أيبد: نبات، وذكر صورة أخرى هي (أيبد) عند بعض العلماء، ثم رجح (أيبد) اعتماداً على عدة أدلة، أما الكبير فجعل (أيبد) للنبات مدخلاً مستقلاً، ولم يذكر ما ذكره فيشر.

مؤبد: ذكر معنيها: مخلد أي دائم، وناقاة مؤبدة: وحشية معتاصة، ومعنيين مجازيين: شعر غريب، شعر أغرّ: أي مشهور.

ولم يذكر الكبير من المعاني الأربعة إلا الأول فقط، وزاد معنى لم يذكره فيشر للمؤنث (مؤبدة) للعقوبة الدائمة مدى الحياة. 30/1، وهو معنى حديث.

متأبد: ذكر مرادفتها لـ (آبد) وهو الوحش يلزم البيداء، مستوحش ومستنفر عن الناس، والمعنى الآخر: راهب.

وهذا المدخل لم يذكره الكبير.

ومما زاده المعجم الكبير على مداخل فيشر ما يلي:

أبدة: بلدة بالأندلس ... 27/1

الأبدان: الإصباح والإمساء (عن ثعلب). 29/1

مأبد: موضع . 29/1

يتضح مما سبق وضوح العلاقة بين المعجمين، والتقارب بينهما في ذكر المعاني، وأغلب الظن أنّ واضعي الكبير استعانوا بجزازات فيشر التي أهداها إلى المجمع، وكان

من الاقتراحات التي طُرحت للاستفادة منها أن يُستعان بها في وضع المعاجم التي يصدرها النجم.

ولمّا يَرَجَحُ استفادة واضعي الكبير من معجم فيشر أو جزائره اتّفاقهما في عدد من المواد - وسبق بيانه - واتّفاقهما في بعض الآراء التي رَجَحَها فيشر.

كما أن بعض أعضاء الذين نظروا في معجم فيشر ومآله، فطرح أحمد الزيات العلاقة بين المعجم الكبير ومعجم فيشر للتساؤل، ورأى توحيد العاملين في عمل واحد إذا كان ممكناً، وذهب إلى أن الطريق للتوحيد بينهما يتمثل فيما يلي:

أ- مزج طريقة المعجم الكبير بطريقة فيشر القائمة على وجهات نظرٍ سبع.

ب- إدخال الزيادات التي انفرد بها فيشر في المعجم الكبير.

ج- ترتيب الجزاءات وإكمالها والاستفادة منها.

د- تسجيل ذلك في مقدّمة المعجم والتنويه بمجهود فيشر.

وتداولوا حول رأي الزيات، وانتهوا بالموافقة على اقتراحات اللجنة⁽¹⁾.

أثر فيشر على المعجميين العرب في دعوتهم إلى صناعة معجم تاريخي:

من المعاجم التي سلكت المنهج التاريخي في معالجتها الألفاظ معجم أكسفورد، وهو أسبق من معجم فيشر، بل إن فيشر نفسه كان متأثراً بغيره في صناعة معجمه، سواءً كان تأثيره بمعجم أكسفورد، أم بالمستشرق ف. هيرديكن، أم المستشرق توريبيكه، على ثلاثة آراء سبق ذكرها في بداية الدراسة.

أمّا من دعا إلى اقتفاء أثر فيشر في صناعة المعجم فهم كثير، فقد أصبح المثل الأعلى في صناعة المعجم، ورأى العديد منهم أنه المعجم الذي يلبي الحاجة القائمة، يستوي في هذه الدعوة بعض المستشرقين الذين أعجبوا بمعجم فيشر فتبناوا الدعوة إليه، ومن دعا من العرب إلى صناعة معجم تاريخي للعربية، متأثراً بمعجم فيشر.

(1) محاضر الجلسات - الدورة 16 - الجلسة 29 ص 326-330.

ويبدو أثر معجم فيشر جلياً لكونه بالعربية، لكننا لا نغفل أثر معجم أكسفورد على بعض الباحثين الذين درسوا علوم اللغة في الغرب. ومع أن التأثير بمعجم فيشر مستمراً لكنني سأذكر بعض أوائل من دعا إلى وضع معجم تاريخي:

— إسماعيل مظهر:

كان يعمل في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، حينما نقل فيشر جذاذات معجمه إلى المجمع للعمل فيه، بعد أن نال الموافقة عليه من المجمع، واختاره فيشر ليعمل معه، مع عدد من الباحثين لقراءة الكتب وجمع غريب الألفاظ، وجمع الشواهد في جذاذات خاصة.

ولمدة عامين أشرف إسماعيل مظهر على هذا العمل، إلى أن سافر فيشر إلى ألمانيا في صيف 1939م، ولم يعد لأن الحرب العالمية الثانية قامت، وبقي في ألمانيا إلى أن مات.

وعمل إسماعيل مظهر في مشروع فيشر له أثر كبير في اقتناعه بحاجة العربية إلى معجم تاريخي، لكن أثر معجم أكسفورد يظهر جلياً في البحث الذي أعده بعنوان (القواعد الأساسية في تأليف معجم لغوي تاريخي)⁽¹⁾، وقدمه إلى لجنة المعجم في مجمع اللغة العربية في سنة 1939م، ثم نشره عام 1945م، وقد استخلص القواعد التي ذكرها من مقدمة معجم أكسفورد، وهو دليل على أثر هذا المعجم على إسماعيل مظهر.

(1) المقتطف - الجزء (4) المجلد (107) 1945م 1364هـ ص 309-323.

ثم نشر بحثاً آخر يحمل الدعوة نفسها، بعنوان (اللغة العربية وحاجتها إلى معجم لغويّ تاريخيّ)⁽¹⁾، وعلّل دعوته باقتصار المعاجم العربية على المعاني الحقيقية دون المجازية أو الجديدة، وذكر أنّه وقع لكثير من اللغات الحيّة ما وقع للعربية.

وذكر ما حدث للإنجليزية ومعاجمها، فقد اقتصرت المعاجم في بداياتها على جمع المفردات العربية دون ما هو معروف، ثمّ سلك الأديب (جونسون) في معجمه طريقاً آخر، إذ أثبت شواهد الألفاظ التي تؤدي المعنى المراد، ثمّ خطأ اللغويّ (ريتشاردسون) خطوة أخرى ببيان تاريخ الألفاظ اللغوية، ثمّ كان تمام تلك المراحل ما وصل إليه معجم أكسفورد من تطوّر في هذا الميدان.

ويتضح ممّا ذكره إسماعيل مظهر من تفصيله الحديث عن المعاجم الإنجليزية، وذكره مقاطع من مقدّمة معجم أكسفورد، يتبيّن مدى الأثر الذي كان لمعجم أكسفورد عليه في تبيينه الدعوة إلى معجم تاريخيّ للعربية، مع أثر عمله مع فيشر في معجمه لمدة عامين.

وكان أثرَي المعجمين: معجم أكسفورد ومعجم فيشر متعادلان، فأسهما في تبني إسماعيل مظهر الدعوة إلى معجم تاريخيّ.

— إبراهيم إبراهيم يوسف:

كتب مقالاً⁽²⁾ عن اللغة العربية والنهضة التي قامت في العصر الحديث بعد سبات طويل، ودعا إلى تجنيد علماء اللغة من عرب ومستشرقين لوضع معجم للعربية الفصحى ملائم للتطوّر العلميّ في العصر الحاضر.

أمّا عن صفات هذا المعجم فكان تأثيره بفيشر كبيراً، فقد نقل من مقدّمة معجمه التاريخيّ — أي معجم فيشر — صفات المعجم الذي يدعو إليه، وذهب إلى أنّ

(1) المجلة - العدد (40) السنة الرابعة - شوال 1379هـ - أبريل 1960م ص 13-18.

(2) معجم اللغة الضادي - أمنية تتحقق (المقتطف ج 1 المجلد (98) 1941م، 1359هـ ص 34-38).

قسماً ممن يُتَدَبُّ لهذا العمل يتَّجه إلى العمل مع فيشر في معجمه التاريخيَّ للتَّعجيل بالفراغ منه، ويكونون على قدر كبير من العلم باللغة وعلومها، وإتقان اللغات السامية الأخرى، واللغات الأجنبية.

ويعمل قسم آخر في وضع المعجم التاريخيَّ الكبير الذي نصَّ مرسوم الجمع على وضعه.

ويظهر التأثير الواضح بفischer في الدعوة إلى المعجم التاريخيَّ، وفي الثناء الكبير الذي كاله لفischer وعمله، ودعوته إلى أن يكون المعجم الذي يضعه الجمع على غرار معجم Fischer.

— عبد الله العلابي:

تأثر بالاتجاه السائد في صناعة المعجم، وهو أن يكون معجماً تاريخياً، فحاول تطبيقه في معجمه (المرجع⁽¹⁾)، فأرَّخ للألفاظ ودلالاتها بالإشارة إلى العصر الذي وجدت فيه الكلمة أو المعنى أو الاستعمال.

— علي توفيق الحمد:

في نهاية بحث طويل بعنوان (بطرس البستاني وجهوده المعجمية) قدّم اقتراحات حول المعجم العربيّ، دعا في اثنين منها إلى وضع معجم تاريخيّ يؤرخ للكلمة وتاريخ ظهورها واستخدامها، وتطوّر معانيها ... وجمع المادّة اللغوية التاريخية من القرآن الكريم والحديث الشريف وكتب العرب، لا من المعاجم القديمة⁽²⁾.
ثمّ قدّم بحثاً طويلاً عميقاً بعنوان (المعجم التاريخيّ العربيّ - مفهومه، وظيفته، محتواه) إلى ندوة (المعجم العربيّ التاريخيّ: قضاياها ووسائل إنجازها)، وفيه عرّف

(1) صدر الجزء الأول منه عام 1963م عن مكتبة الفرح الحديثة في بيروت، ينظر: المعجم التاريخيّ العربيّ -

د. علي توفيق الحمد (مجلة المعجمية 5-103/6).

(2) ويظهر تأثره القويّ بفischer في مصادر مادته، فقد مال إلى أن تؤخذ من مصادرها الأصلية لا من المعاجم، ينظر في اقتراحاته كتاب (في المعجمية العربية المعاصرة ص 332).

المعجم التاريخي من مصادر أجنبية ومصادر عربية، وذكر مفهومه لدى عدد من العرب والمستشرقين، وفصل الحديث عن المعجم التاريخي العربي المنتظر⁽¹⁾.

— جمعية المعجمية العربية بتونس:

يحقّ لهذه الجمعية أن يقال عنها إنها أبرز الهيئات العلمية العربية اهتماماً بالمعجم العربي وقضاياها، وجاءت الدراسات المعجمية التي صدرت عنها من أقوى الدراسات المعجمية الصادرة من هيئة علمية عربية، وأعمقها وأكثرها جدّة.

يصدر عنها مجلة تُعنى بشئون المعجم، اسمها (مجلة المعجمية)، تشتمل على دراسات عميقة.

ولاهتمام الجمعية بالمعجم التاريخي عقدت له ندوة عنوانها (المعجم العربي التاريخي: قضاياها ووسائل إنجازها) بتاريخ 14-17 نوفمبر 1989م، دعت إليها نخبة من لغويي البلاد العربية، نوقشت فيها أهمّ قضايا المعجم التاريخي، ونشرت بحوث الندوة في جزء خاصّ به من المجلة⁽²⁾.

ثم أصدرت الجمعية كتاباً خاصاً بحوث الندوة، سمّته (المعجم العربي التاريخي)، طبعه (بيت الحكمة - قرطاج).

جاء اهتمام الجمعية بالمعجم التاريخي والدعوة إلى أن يكون للعربية معجم تاريخي، جاء لاقتناع أعضائها بأنها قضية لها صلة بتراثنا وحاضرنا ومستقبلنا، وأن المعجم أصبح ضرورة لا غنى عنها، فهو ذاكرتنا اللغوية والثقافية والحضارية. المآخذ على فيشر في معجمه:

فما وجدته من المآخذ على فيشر ما يلي:

(1) ينظر: مجلة المعجمية 5-6/95-146.

(2) مجلة المعجمية - العددان الخامس والسادس 1409هـ - 1989م، و 1410هـ - 1990م (وقائع ندوة المعجم العربي التاريخي: قضاياها ووسائل إنجازها) في مجلد واحد.

أوهامه:

يظهر تمكُّن فيشر من العربية - وبالأخصّ في الكتابة - عند الاطلاع على ما كتبه في المعجم وغيره، لكنّ فهم معاني الكلمات وإدراك دلالاتها الدقيقة لا يكاد أعجميّ يسلم من الوهم فيه.

ومثلُ وقوع بعض المستشرقين في توهم بعض المعاني المدرجة تحت معنى واحد معاني متعدّدة، وقع فيشر في الوهم نفسه - مع قلة النماذج - فجعل الدلالة الواحدة في سياقات مختلفة عدّة معان، وحينما ننظر في تلك المعاني ندرك ذلك الوهم، فما ظنّه عدّة معانٍ هو في الحقيقة معنى واحد في عدّة سياقات، تربط بينها صورة معنوية واحدة.

وإليك بعض الأمثلة على أوهامه:

— ذكر معاني (أب) ومنها:

أ- أبّ أبّه: قصد قصده.

ب- أبّ فلاناً: قصده. ص 25

والواضح أنّ المعنى واحد للفعل وهو (قَصَدَ)، لكنّه في الأوّل غير متعدّد، وفي الثاني متعدّد إلى مفعول.

— فرّق بين المشتقات المرتبطة بصيغة واحدة، بسبب عدم إدراكه الرابط بينها، مثل:

أ - في مادة (أبَد) : ذكر كلمة (أبَد) . ص 37، وذكر بعدها عدداً من المشتقات، ثمّ ذكر (أبديّ، وأبديّة) . ص 44، وهما منسوبتان إلى (أبَد) .

ب - ذكر الفعل (أبَد) . ص 33، ثمّ ذكر اسم المفعول منه (مُؤبَد) . ص 53

ج - ذكر الفعل (تَأبَد) . ص 34، ثمّ ذكر اسم الفاعل منه (مُتَأبَد) . ص 53

— ذكر معنى (أبَد) وهو الدهر الطويل غير المحدّد ص 37، ثمّ ذكر معنى ثانياً وهو الدهر مطلقاً ص 42، ثمّ معنى ثالثاً وهو ذو (ذات) أبَد أي دائم (دائمة) نقلاً

عن لين، واستشهد بكلام عبيد بن عمير: "الدنيا أمد (أي ذات أمد) والآخرة أبد (أي ذات أبد) ص 42-43، ولا يخفى أن المعاني الثلاث تعود إلى معنى واحد.

إكثاره من الرموز والمختصرات:

سلك فيشر مسلك الغربيين في كتبهم، حيث تزخر بالرموز التي تختصر حجم الكتاب، وللإختلاف بين اللغات فالعربية تختلف عن اللغات الغربية، لأن حروفها تتصل في الكتابة، أما الغربية فتكتب مفصولة كما تكتب مفصولة.

ولذا يبدو الإكثار من الرموز ثقيلًا على القارئ العربي لاختلافه عما اعتاد عليه، بل يزيد من غموض النص.

ومن الأمثلة عليه من معجم فيشر ما يلي:

— قال بعد ذكره شطر بيت: "الأغاني 9/244/3: أفلا قلت الحمد لله ؟ قال: أو نعمة هي حتى أحمد الله عليها ؟ هلج. ر كذلك المفصل § 581 مع ابن يعيش غ.

ص 5

إيضاح الرموز:

هلج: وهلم جراً.

ر: لم يفسرها.

غ: وغيره، وغيرها ونحوه.

— قال تحت (أب) : " أب لشيء يئب ويؤب أباً وأبياً وأباباً وأبابةً وإبابةً

(آنـ: Lane " أب " فق " أب ") : هياً له وتجهز، ويقال: هو في أبابه وأبابته: أي

في جهازه، Lane موسا. ص 23

إيضاح الرموز:

آنـ: انظر.

فق: فقرة.

ويكون معنى ما بين القوسين: انظر Lane " أب " أي المادّة، فقرة " أب " .

موساً: الموضوع السابق.

— قال بعد ذكر شطر بيت هو: ذي جُدَّتَيْن آبد الشروذ
(في الشرح: والجُدَّتَانِ خَطَّانِ فِي الظَّهْرِ، يَعْنِي ظَهْرَ الحِمَارِ) وكذلك
الهدليون رقم 5/16 (رَوَى الصَّحْمُ بَدَلَ العَصْمِ (رَ : مَا يَلِي 47 ع 8/1)، - أبو
كبير رقم 6/40، - كثير رقم 5/123، - البكري 463 / ت. ص = 8/1ع/4 .
ص 46

إيضاح الرموز:

الهدليون رقم 5/16: الرقم الأول للقصيدة، والثاني للبيت، ومثله أبو كبير رقم
6/4، وكثير ...

رَوَى: وقد روي، وفي رواية أخرى.

رَ: لم أجد مدلولها.

ما يلي 47 ع 8/1: ص 47، عمود 1، سطر 8.

البكري 463 / ت ص = 8/1ع/4: البكري ص 463، تحت صفحة 4،

عمود 1، سطر 8

ولكثرة الرموز التي استخدمها فإنها تؤدي إلى لبس وجهه في معرفتها.
وَمَا يَجْدُثُ لِبْسًا أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ حَرْفَ التَّاءِ (ت) رَمَزِينَ لِشَيْئَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، فَفِي
مصادره استعمله اختصاراً لسنن الترمذي، ووضعه في قائمة الرموز الأخرى وفسره
بـ (تحت، من تحت)، ووكّل فيشر التعرف على الرمز إلى القارئ، وإن كان
سياق الكلام قد يدلّ على سنن الترمذي عندما يأتي في السياق ذكر حديث، لكنّه مع
ذلك موضع لبس.

تعدد المعنى الواحد:

حينما يكتب الأجنبي عن لغة من اللغات فهو معرض للزلل فيما يمس المعاني
بخاصة، لكون المعنى مرتبطاً بالفهم، والفهم مبني على علم الإنسان وثقافته وخلقيته
الحضارية واللغوية، لذا نلاحظ أنّ كتابات المستشرقين في اللغة العربية قلما تخلو من

هذا الخلل، مع إتقانهم جانب المنهج، وتفوقهم على دراسات بعض العرب فيما يتعلّق بالدقّة العلميّة والجدّة والمثابرة، وما ينبي على هذا من نتائج علميّة قيّمة، هي ما يميّز كتابات بعض المستشرقين.

أمّا الخلل في الفهم فهو دليل على الضعف اللغويّ لدى المؤلّف، ومن مظاهره تفسير اللفظ بمعنى اكتسبه من السياق لا من اللفظ نفسه، ولعجمة الشارح لا يستطيع إدراك مصدر المعنى، فيظنّ أنّ تلك الدلالة هي دلالة اللفظ أينما وُجد، وفي أيّ سياق ورد.

ومن الأمثلة في معجم فيشر ما يلي:

— ذكر (أبدأ) وذكر من معانيه:

اسم الفاعل من (أبدأ): مقيم بالمكان غير بارح له.

وذكر اسم الفاعل من (أبدأ) أيضاً، وتحت ثلاثة معانٍ فرعيّة:

أ— وحش يلزم البيداء مستوحش ومستنفر عن الناس.

ب— بهائم توحّشت ونفرت من الأئس كالوحش.

ج— وحشيّ، مستوحش، شارد للمعاني المجازيّة. ص 45-48

وهي اسم فاعل من (أبدأ)، فالمعنى الأوّل اسم فاعل من (أبدأ) للإقامة وطول المدة، والمعنى الثاني بفروعه (أ، ب، ج) اسم فاعل من (أبدأ) للتوحّش كما سبق ذكر معانيه في بداية المادة، ولذا فهو عدّد معنى واحداً إلى معانٍ عديدة.

— ذكر معاني (أبّ) ومنها:

أ— أبّ أبّه: قصد قصده.

ب— أبّ فلاناً: قصده. ص 24

والواضح أنّ المعنى واحد للفعل وهو (قصد)، لكنّه في الأوّل غير متعدّ، وفي الثاني متعدّ إلى مفعول.

— ذكر معنى (أبد) وهو الدهر الطويل غير المحدد ص 37، ثم ذكر معنى ثانياً وهو الدهر مطلقاً ص 42، ثم معنى ثالثاً وهو ذو (ذات) أبد أي دائم (دائمة) نقلاً عن لين، واستشهد بكلام عبيد بن عمير: " الدنيا أمد (أي ذات أمد) والآخرة أبد (أي ذات أبد) ص 42-43، ولا يخفى أن المعاني الثلاثة تعود إلى معنى واحد.

— فرق بين المشتقات المرتبطة بصيغة واحدة، بسبب عدم إدراكه الرابط بينها، مثل:

أ - في مادة (أبد) : ذكر كلمة (أبد) ص 37، وذكر بعدها عدداً من المشتقات، ثم ذكر (أبديّ، وأبدية) ص 44، وهما منسوبتان إلى (أبد).

ب - ذكر (أبدأ) ص 33، ثم ذكر اسم المفعول منه (مؤبّد) ص 53

ج - ذكر (تأبّد) ص 34، ثم ذكر اسم الفاعل منه (متأبّد) ص 53

من مزايا عمل فيشر:

لنكون منصفين يحسن بعد عرض بعض المآخذ على فيشر أن نذكر بعض مزايا أعماله، فمن تلك المزايا:

— اتّسع ثقافتهم في الميدان الذي يدرسونه:

وهذا ظاهرٌ لكلّ مطلعٍ على أعمالهم وسيَرهم التي تدلّ على إتقان الواحد منهم العديد من اللغات التي تمتّ بصلة إلى اللغة المدروسة، وهو ما يُكسب أعمالهم ثراءً، لقدرتهم على معرفة أصول الكثير من الألفاظ التي انتقلت من لغة إلى أخرى، والاستعانة بذلك للتأريخ للألفاظ، مع ما يكون عليه المستشرق من سعة في الثقافة تُكسب عمله الاتّساع والثراء.

وغير خافٍ تميّز الدراسات الاستشراقية بالربط بين العربية مثلاً وأحوالها الساميات في العديد من القضايا، وقدرتهم على تتبّع تاريخ اللفظ في العربية وصورته التي كان عليها قبل العربية، ولذا استفادوا من علمهم باللغات في معرفة أصول الألفاظ المعربة بإعادة اللفظ المعرب إلى لغته الأولى.

— اهتمامه بالشواهد اللغوية:

تأتي معاجم العديد من المستشرقين العربيّة على طريقة معاجمهم في لغاتهم، فالشاهد اللغويّ أساس بنائه، بل هو العنصر الرئيس فيه، ومنه تنطلق المعاني. لذا لا عجب أن تبلغ بطاقات فيشر التي جمعها لمعجمه الذي كان يسعى لصنعه مليون بطاقة، وجمع (575) شاهداً على استخدام كلمة (كلّ)، و (587) شاهداً على كلمة (كان)، و (17700) إحالة إلى الأخطل وحده⁽¹⁾.

وكذا في الجزء المطبوع من معجمه، اعتمد في إيراد المعاني على سرد الشواهد عليها، ولا حاجة إلى التمثيل عليها، فقد سبق ذكره.

— ترتيب المشتقات تحت المداخل على ترتيب معيّن:

أي ترتيب المشتقات بحيث تأتي منتظمة، وهو ما يسهّل العثور عليها بسرعة عند معرفة منهج المؤلف في ترتيبها.

ولا شك أن المستشرقين استفادوا في ترتيبهم المشتقات من ترتيبها في معاجم لغاتهم، وحين نوازن بين المعاجم العربيّة القديمة ومعاجمهم في هذه المسألة نجد أن الغالب على معاجمهم التزام ترتيب يرتضيه أصحابها، أمّا المعاجم العربيّة فيغلب عليها إيراد المشتقات دون ترتيب، وهو ما يسبّب صعوبة العثور على المراد فيها.

والترتيب الشائع عندهم هو البدء بالأفعال ثمّ الأسماء، وتقديم الأفعال المجردة ثمّ المزيدة، ثمّ الأسماء المجردة ثمّ المزيدة.

وأبان فيشر هذا الترتيب فنصّ على ترتيب الأوزان، وهو الترتيب الشائع

عندهم:

فترتيب أبنية الأفعال على النحو التالي:

(1) ينظر: من قضايا المعجميّة العربيّة المعاصرة - أحمد شفيق الخطيب (في المعجميّة العربيّة المعاصرة ص 621).

— التأثير المتبادل بين العرب والمستشرقين، وغلبة أثر المستشرقين فيما يخصّ مناهج البحث، فظهرت لنا مناهجهم في صناعة المعجم، ممثلةً بمعجم فيشر في هذا البحث، وظهر لنا مدى تأثر اللغويين العرب بها حين أصبحت شائعة بينهم.

تلك كانت بعضاً مما ظهر لي في أثناء دراسة عمل فيشر، مما يعدّ من النتائج العامة، ويحسن بنا الاستفادة مما يناسبنا منها، ويمكنني الخروج بتوصيات منها:

1- في ميدان الصناعة المعجمية العربية تبدو أهمية الاطلاع على جهود المستشرقين فيه، فقد نال قدراً كبيراً من الاهتمام في لغاتهم، ثم نقلوه لتطبيقه على العربية، ويمثل دراسة عمل فيشر والاستفادة منه تطبيقاً لهذه التوصية.

2- عند النظر في تلك الدراسات حول صناعة المعجم لديهم تظهر حاجتنا إلى دراسات متخصصة تتجه هذا الاتجاه لمعرفة النظريات التي اعتمد عليها واضعوها، لمعرفة محاسنها وعيوبها، للاستفادة منها في صناعة المعجم في العصر الحاضر.

3- وجوب الاهتمام بدراسة جهود المستشرقين وعرضها للتحليل والنقد، لاكتشاف جوانب الإجابة فيها للاستفادة منها، والعناية بالوقفات القيّمة التي يقفها المستشرقون في بعض أعمالهم والتفاهم إلى ما لا يلتفت إليه العربي.

أسأل الله عزّ وجلّ أن أكون قد وفّقت إلى الكشف عن بعض ملامح تجربة فيشر في معجمه، وصلى الله وسلم على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مراجع البحث

الكتب:

- أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة - أ. د. محمّد رشاد الحمزاوي ص 98، 509-
510 ط الأولى 1988م دار الغرب الإسلامي - بيروت.
- البحث اللغويّ عند العرب - د. أحمد مختار عمر، ط الرابعة 1402هـ - 1982م -
عالم الكتب - القاهرة.

- تاريخ حركة الاستشراق - الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين - يوهان فوك، تعريب عمر لطفي العالم، ط الأولى 1417هـ - 1996م، دار قتيبة - دمشق.
- مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً (1) - إبراهيم مدكور، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية 1383هـ - 1964م.
- المرجع - عبد الله العلايلي، صدر الجزء الأول منه عام 1963م عن مكتبة الفرخ الحديثة في بيروت
- المستشرقون - نجيب العقيقي، الطبعة الرابعة، دار المعارف - القاهرة.
- المعجم الكبير طبع الجزء الأول بمطبعة دار الكتب عام 1970م .
- معجم اللغة العربية الفصحى - مانفريد أولمان (ضمن كتاب: ألمانيا والعالم العربي، دراسات تتناول الصلات الثقافية والعلمية والفنية بين الألمان والعرب - حققه بالألمانية أ. د. هانس روبرت رويغر، ترجمه د. مصطفى ماهر، د. كمال رضوان.
- المعجم اللغوي التاريخي - أوغست فيشر، طبعته الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (1387هـ، 1967م)، ونشره مجمع اللغة العربية.
- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط الثانية - دار الدعوة - إستنبول - تركيا 1406هـ - 1986م .
- موسوعة المستشرقين - د. عبد الرحمن بدوي، ط الثانية 1989م - دار العلم للملايين - بيروت.
- البحوث:
- تاريخ المعجم التاريخي العربي في نطاق العربية: المبادرات الرائدة - أ. د. محمد رشاد الحمزاوي (مجلة المعجمية 5-26/6).
- تقرير خاصّ بطريقة تأليف المعجم التاريخي الكبير للغة العربية - وضعه أ. فيشر - ملحق في مجلة المقتطف - الجزء الثالث - المجلد (114) ص 3-36

- اللغة العربية وحاجتها إلى معجم لغويّ تاريخيّ - إسماعيل مظهر (المجلة - العدد)
40 (السنة الرابعة - شوال 1379هـ - أبريل 1960م).
- محاض - ر الجلسات - الدورة 16 - الجلسة 29.
- محاضر الجلسات - دور الانعقاد الأوّل - الجلسة (23) 333/1.
- محاضر الجلسات - دور الانعقاد الثالث - الجلسة (8) 1354/11/1هـ -
1936/1/25م
- محاضر الجلسات - دور الانعقاد الثاني - الجلسة (13) ص 136.
- محاضر الجلسات - دور الانعقاد الثاني - الجلسة (3) ص 29.
- تقرير عن معجم الدكتور فيشر (محاضر الجلسات في الدورة) ص 41-43.
- القواعد الأساسية في تأليف معجم لغويّ تاريخيّ - إسماعيل مظهر (المقتطف -
الجزء (4) المجلد (107) 1945م 1364هـ).
- المعجم التاريخي العربيّ - د. علي توفيق الحمد (مجلة المعجميّة 5-103/6).
- معجم الدكتور أ. فيشر - وصفه ونقده - عبد القادر المغربي، مجلة الجمع العلميّ
العربيّ (الجزء الرابع - المجلد الرابع والعشرون) ص 500.
- معجم اللغة الضادي - أمنية تتحقق (المقتطف ج 1 المجلد (98) 1941م،
1359هـ - ص 34-38).
- من قضايا المعجميّة العربيّة المعاصرة - أحمد شفيق الخطيب (في المعجميّة العربيّة
المعاصرة ص 621).
- من قضايا المعجميّة العربيّة المعاصرة - عفيف عبد الرحمن (في المعجميّة العربيّة
المعاصرة ص 388).
- وقائع ندوة المعجم العربيّ التاريخي: قضاياها ووسائل إنجازها (مجلة المعجميّة -
العددان الخامس والسادس 1409هـ - 1989م، و 1410هـ - 1990م).